وجوه الإعجاز
في السنة النبوية المطهرة

✍ إعداد الأستاذ الدكتور
أيمن محمود مهدي محمد
أستاذ الحديث وعلومه بكلية الآداب
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل - بالدمام
Email: ayman_mahdy5@hotmail.com

ملخص عربي :

وجوه الإعجاز في السنة النبوية المطهرة

إعداد أ.د/ أيمن محمود مهدي محمد

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة كثيرة لا يمكن حصرها، وهي متجدِّدةٌ مع تجدُّد الزمان.

والمقصود بالإعجاز: هو ذلك العلم الذي يثبته لنا العلم الحديث بعد قرونٍ من إخبار رسولنا الكريم ﷺ، وفيه دلالة على صدق نبوة محمد ﷺ.

وهناك نماذج كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين قدرة الله عز وجل وعظيم صنعه في الكون، وما كانت هذه الآيات والحقائق العلمية لتكتشف لولا التقدم العلمي الهائل في مجال التكنولوجيا، مما يثبت بما لا يدع مجالًا للشك إعجاز القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

ذكرت في هذا البحث بعض أوجه الإعجاز في القرآن والسنة، وأوجه الإعجاز فيهما كثيرة، ومعين الإعجاز في الكتاب والسنة باقٍ لا ينضب، ودائمٌ يتجدَّد.

وقد اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وستة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: بيان معنى السنة وأنها وحيٌ من الله تعالى.

الفصل الثاني: الإعجاز البياني في السنة النبوية.

الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.

الفصل الرابع: الإعجاز الطبي في السنة النبوية.

الفصل الخامس: الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

الفصل السادس: الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.

ثم ذكرت: الخاتمة، ونتائج البحث.

ثم ختمتُ البحث بذكر المصادر والمراجع، والفهرس العام للكتاب.

الكلمات المفتاحية : الإعجاز. السنة. الإعجاز البياني. الإعجاز التشريعي. الإعجاز الطبي. الإعجاز العلمي. الإعجاز الغيبي.

Email: ayman_mahdy5@hotmail.com

Summary

Title of the search: The Faces of miracles in the prophet's year of purgatory

Prof. Ayman Mahmoud Mahdi Mohamed

The miracles in the Qur'an, and the prophetic year of purgatory are innumerable, and are renewed with the renewal of time.

What is meant by miracles is the science that modern science proves to us after centuries of telling our holy prophet, and it is a sign of the sincerity of muhammad's prophecy.

There are many examples of Qur'anic verses and prophetic hadiths that show the power of God almighty and great to make in the universe, and these verses and scientific facts would not have been discovered had it not been for the enormous scientific advances in the field of technology, which proves beyond any doubt the miracle of the Holy Quran, and the sunnah of cleansing.

In this research, I mentioned some of the miracles in the Qur'an and sunnah, the many miracles in them, and the miracle sought in the Book and the Sunnah remained inexhaustible, and always renewed:

This research included: introduction, six chapters, and conclusion as follows.

Chapter ١: To show the meaning of the Sunnah and that it is inspired by God.

Chapter ٢: The Graphic Miracle of the Prophet's Year.

Chapter ٣: Legislative Miracle in the Prophet's Year.

Chapter ٤: Medical Miracle in the Prophet's Year.

Chapter ٥: Scientific Miracle in the Prophet's Year.

Chapter ٦: The Occult Miracle in the Prophet's Year.

Then I mentioned: conclusion, search results.

I then concluded the research by mentioning the sources and references, and the general index of the book.

Keywords: Miracles. the year. Graphic miracle. The legislative miracle. Medical Miracles. Scientific Miracles. Metaphysical miracle.

Email: ayman_mahdy5@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، الذي خلق الخلق، وأودع الوجود والأنفس آياته البينات، لتهتدي إليه القلوب والعقول، شاهدة على بصيرة تفرده بالخلق والملك ووحدانيته، قال جل جلاله: **(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)**[1] وتكرّم على الإنسان –لما جعله مناط التكليف– بأن أوجد فيه من الصفات ما يُمَكِّنه من إدراك الآيات التي يستقيم بها عيشه، وتهتدي بها نفسه، ويطمئن بها قلبه، والصلاة والسلام التامان على سيد الخلق أجمعين، الممدوحة بعثته من رب العالمين، رسول الله حقًا وصدقًا، بشيرًا ونذيرًا، الذي أكرمه الله وطهّره، واصطفاه واجتباه وقرّبه، وأيّده بالآيات الباهرات، التي تقف العقول على أعتابها صاغرة، مقرة بغلبتها وعظمتها، وعلى آله الطاهرين وصحابته المكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن بيان أوجه الإعجاز في القرآن والسنة أمرٌ شديد الأهمية، عظيم الفائدة، وقد تعدَّدت أنواع الإعجاز في السنة مما جعل منها معجزةً لن يستطيع بشرٌ أن يأتي بمثلها، وقد أردتُ أن أتناول بعض جوانب الإعجاز في السنة النبوية.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

إن أجلَّ العلوم قدرًا هو ما اتصل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ضبطًا وتفسيرًا، وشرحًا وبيانًا، ومن أعظمها منزلة، تلك التي تبحث عن أوجه الإعجاز؛ لأنها التي يُواجَه بها غير المسلمين، استدلالًا على صدق سيد المرسلين، وعلى رفعة هذا الدين، الذي لم يختص بأمة دون غيرها، بل جاء للناس أجمعين، والمقصود بالإعجاز هو ذلك العلم الذي يثبته لنا العلم الحديث بعد قرونٍ من إخبار رسولنا الكريم ﷺ، وفيه دلالة على صدق نبوة محمد ﷺ.

حدود البحث:

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة كثيرة لا يمكن حصرها، وهي متجدِّدةٌ مع تجدُّد الزمان، وهناك نماذج كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث

(١) سورة الذاريات الآيتان رقم: ٢٠ - ٢١.

النبوية التي تبين قدرة الله عز وجل وعظيم صنعه في الكون، وما كانت هذه الآيات والحقائق العلمية لتكتشف لولا التقدم العلمي الهائل في مجال التكنولوجيا، مما يثبت بما لا يدع مجالًا للشك إعجاز القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

وقد ذكرت في هذا البحث بعض أوجه الإعجاز في القرآن والسنة ولا أزعم أنني وصلت في هذا البحث إلى الكمال، أو حصرتُ جميع جوانب الإعجاز الواقعة في السنة النبوية، وإنما ذكرتُ بعضها فقط على سبيل التمثيل، ومعين الإعجاز في الكتاب والسنة باقٍ لا ينضب، ودائمٌ يتجدَّد.

الدراسات السابقة:

تنبه علماء الأمة الإسلامية منذ قرون للإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ثم تكلَّموا بعد ذلك عن جوانب أخرى للإعجاز في السنة النبوية، كان من أهمها وأشهرها: الإعجاز العلمي، وقد زاد الاهتمام بالإعجاز العلمي في العصر الحديث بعد أن تقدمت العلوم بصفة عامة والعلوم الكونية بصفة خاصة، وجاءت الاكتشافات مطابقة للإشارات والحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأصبح للإعجاز العلمي في القرآن والسنة شأن عظيم في مجال الثقافة الإسلامية وفي مجال الدعوة، ونشط العلماء المسلمون وغير المسلمين في دراسته والبحث فيه، وكثرت المؤلفات والمؤتمرات والندوات المحلية والعالمية، وكذلك المحاضرات والأحاديث في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وتأسست اللجان والجمعيات والهيئات، وكلها تتسابق إلى عرض قضية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وقد أَلَّف العلماء والباحثون كتبًا كثيرة في هذا الموضوع ما بين مطول ومختصر بعضها في الإعجاز عمومًا وبعضها في التركيز على جانبٍ واحدٍ فقط من جوانبه ومن أهم هذه المؤلفات التي أذكرها على سبيل التمثيل وليس الحصر:

١- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي.

٢- كتاب (أحاديث معجزات الرسول ﷺ التي ظهرت في زماننا) للدكتور: عبد المهدي عبد القادر.

٣- كتاب (الإعجاز العلمي في السنة النبوية) للدكتور: صالح بن أحمد رضا.

٤- قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه للدكتور: عبد الله المصلح.

٥- الإعجاز الطبي للسنة النبوية من خلال صحيح البخاري ومسلم للدكتور: أحمد العزب.
٦- الإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور: زغلول النجار.
٧- الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي للدكتور: مساعد الطيار.

وقد تناولت هذه الدراسات بعض جوانب الإعجاز فقط، وركزت معظمها على الإعجاز العلمي، وقد ذكرت في بحثي الكثير من هذه الوجوه فذكرت الإعجاز العلمي وغيره من جوانب الإعجاز.

منهج البحث:

ذكرتُ بعض أوجه الإعجاز الواقعة في الكتاب والسنة، وقد حرصت في بحثي على:

أولًا: جعلتُ الآيات القرآنية بين قوسين، وذكرتُ اسمَ السورة ورقم الآية في الهامش.

ثانيًا: خرَّجتُ الأحاديث والآثارَ من مصادِرها الأصلية، فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين اكتفيتُ بهما -إلاّ إذا كانت هناك زيادة في غيرهما- وإن كان في غيرهما خرجته من كتب السنن الأربعة، وإن لم يكن فيها خرجته من باقي الكتب التسعة، وإلا بما في كتب السُّنة الأخرى، وذلك بذكر اسم الكتاب، ثم الباب، ثم الجزء والصفحة.

ثالثًا: حكمتُ على الأحاديث والآثار وبيَّنتُ درجتها، معتمدًا على أقوال العلماء في ذلك، وإن لم أجد اجتهدتُ في الحكم على الحديث، بعد النظر في إسناده، ومتنه، حسبما تقتضيه قواعد الصنعة الحديثية.

رابعًا: ضبطتُ الأحاديث بالشكل ضبطًا كاملًا، حتى يتيسر فهم ألفاظ الحديث.

خامسًا: ضبطتُ بالشَّكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشْكِلُ قراءته، ويَلْتَبِسُ نطقه.

سادسًا: نسبتُ الأقوال إلى أصحابها في مصادرها الأصلية.

سابعًا: قمتُ بوضع علامات الترقيم وفصل الجمل عن بعضها بما يبين المراد منها.

ثامنًا: شرحت الكلمات الغريبة والغامضة من كتب اللغة وغريب الحديث وغيرها.

تاسعًا: ذكرتُ أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في نهاية البحث.

عاشرًا: وضعتُ فهرسًا عامًّا للموضوعات في نهاية البحث.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وستة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: بيان معنى السنة وأنها وحيٌ من الله تعالى.

الفصل الثاني: الإعجاز البياني في السنة النبوية.

الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.

الفصل الرابع: الإعجاز الطبي في السنة النبوية.

الفصل الخامس: الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

الفصل السادس: الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.

ثم ذكرتُ المصادر والمراجع، والفهرس العام للكتاب.

وهذا هو جهد الضعيف مع قلة البضاعة، فما كان فيه من حقٍّ وصواب فهو من الله عزَّ وجل وحده، وما كان فيه من خطأٍ فهو مني ومن الشيطان، والله عزَّ وجل ورسوله ﷺ منه بريئان، وحسبي أنني اجتهدتُ قدر طاقتي، وكلُّ إنسانٍ يخطئ ويصيبُ إلا الرسول المعصوم ﷺ، والله حسبنا ونعم النصير.

(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[1].

المؤلف أ.د/ أيمن مهدي

(١) سورة البقرة الآية رقم: ٢٨٦.

الفصل الأول: بيان معنى السنة وأنها وحيٌ من الله تعالى.

قبل الخوض في ذكر بعض وجوه الإعجاز في السنة النبوية المطهرة يلزم في البداية تعريف المراد بالسنة المطهرة، وذكر أهم خصائصها

السنة في اللغة: هي الطريقة المتَّبعة، والسيرة المستمرَّة، سواءً كانت حسنة أم سيئة[١]، قال تعالى: **(سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)**[٢].

وقال رسول الله ﷺ: **(مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)**[٣].

فالسنة هي: الطريقة، والعادة المُتَّبعة، حسنةً كانت أو سيئة، ولكن علماء اللغة اتَّفقوا على أن كلمة السنة إذا أُطْلِقَت انصرفت إلى الطريقة أو السيرة الحسنة فقط، ولا تُسْتَعمل في السيئة إلا مُقَيَّدة[٤].

السنة في اصطلاح المحدثين

عرَّف المحدِّثون السنة بأنها: أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته، وسائر أخباره قبل البعثة أو بعدها، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم، واستدلُّوا على ذلك: بقول الرسول ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)[٥].

---

(١) تاج العروس ٢٤٣/٩، لسان العرب ٣٩٩/٦.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم: ٧٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢٠٥٩/٤ رقم: ١٠١٧.

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني صـ: ٣٢، المعجم الوسيط ٤٥٥/١.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٣٧٣/٢٨ رقم: ١٧١٤٤ وهو حديثٌ صحيح.

وعندما نقول وجوه الإعجاز في السنة النبوية فإننا نعني: أقوال النبي ﷺ، وأفعاله فقط، فهما ما يُمكن أن يستنبط منه الإعجاز، ومن أهم خصائص السنة النبوية أنها:

وحيٌ من الله تعالى.

السنة النبوية هي المفسرة للقرآن، والموضِّحة لمعانيه، وهي لا تصدر من النبي ﷺ من تلقاء نفسه، وإنما هي وحيٌ من الله تعالى، أوحاه الله عزَّ وجلَّ إلى نبيه ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام تارة، وعن طريق الإلهام أو النفث في الرُوع تارة، وعن طريق الموافقة والإقرار لما وصل إليه اجتهاد النبي ﷺ تارة، **فالقسم الأول** من الوحي هو القرآن الكريم، **والقسم الثاني** من الوحي هو السنة النبوية المطهرة.

فالله عزَّ وجلَّ أوحى القرآن إلى نبيه ﷺ، ثم أوحى إليه ما يوضِّحه ويفسِّره، والأدلة المثبتة لذلك كثيرة منها:

١- قول الله تعالى عن نبيه ﷺ: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**[(١)] فالآيتان تقرِّران بوضوح: أن النبي ﷺ لا ينطق شيئًا بهواه، وإنما ينطق بالوحي، وقد عبَّر الله عزَّ وجلَّ عن ذلك باستخدام أسلوب القصر الذي يفيد: أن النبي ﷺ لا ينطق بشيءٍ إلا بالوحي، فجميع كلامه ﷺ محصورٌ في كونه وحيًا من الله تعالى.

٢- وقول الله تعالى: **(وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)**[(٢)]، وقال عزَّ وجلَّ: **(وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ)**[(٣)]، فالله أنزل الكتاب وهو القرآن، وعطف عليه الحكمة، والعطف يقتضي المغايرة، وأحكام الشرع تؤخذ من القرآن والسنة التي تفسِّر القرآن وتشرحه وتوضِّح معانيه،

(١) سورة النجم الآيتان رقم: ٣-٤.
(٢) سورة النساء الآية رقم: ١١٣.
(٣) سورة البقرة الآية رقم: ٢٣١.

وهي مُنزَّلة كالقرآن، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**[1] يعني: السنة، **قال ابن كثير:** السنة تنزل على النبي ﷺ بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تُتْلَى كما يُتْلَى القرآن[2].

٣- حينما نهت قريش عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن كتابة أحاديث النبي ﷺ وقالوا له: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: **(اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ)**[3]، فهذا الحديث يؤكِّد أن كل ما يصدر عن النبي ﷺ في كل أحواله وحي، لا فرق بين حال الرضا وحال الغضب.

فالسنة وحي من الله تعالى كالقرآن، وهي واجبة الاتباع كالقرآن، وصدق الله تعالى: **(مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)**[4].

ووجوه الإعجاز في السنة النبوية كثيرة، ولا تزال هذه الوجوه تظهر وتتكشف، ومن أشهر هذه الوجوه:

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٨/٤١٠ رقم: ١٧١٧٤. من حديث: الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ وهو حديث صحيح.
(٢) تفسير ابن كثير ١/٣.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١١/٥٧ رقم: ٦٥١٠. وهو حديثٌ صحيح.
(٤) سورة النساء الآية رقم: ٨٠.

الفصل الثاني: الإعجاز البياني في السنة النبوية

الإعجاز مشتقٌ من العجز والمراد به: **الضعف والقصور**[(١)].

والمراد بالبيان: الإفصاح عن المعنى المقصود من غير توسُّع في الكلام بعبارة واضحة.

فالإعجاز البياني معناه: الدقة في اختيار الكلمات، وترتيبها بصور بديعة، حيث تظهر فيها الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ[(٢)].

ومن مظاهر عظمة النبي ﷺ ودلائل نبوته: أنه صاحب الحكمة البالغة، والكلمة الصادقة، واللسان المبين، وقد فضله الله عَزَّ وجَلَّ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم، فكان ﷺ يتكلَّم بالكلام الموجز، القليل اللفظ، الكثير المعاني، المشتمل على أعلى صور البلاغة والفصاحة، وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات.

وقد اتَّصف النبي ﷺ بصفاتٍ لم تجتمع لأحدٍ قبله ولا بعده، فقد كان أفصح الناس قولًا، وأعذبهم كلامًا، وأحلاهم منطقًا، وأبدعهم لغةً، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب، ويأسر الأرواح، مع قلة حروفه بحيث يعده العاد، ليس بسريعٍ لا يُحفظ، ولا بكلامٍ منقطع لا يُدركُه السامع، بل هديه فيه أكمل الهدي، شهد له بذلك كل من سمعه، من الموافقين له، والمخالفين له.

والأقوال النبوية الصحيحة تمثل ذِرْوة البيان البشري، والبلاغة الإنسانية مبنى ومعنى، مضمونًا وشكلًا، فكرةً وأسلوبًا، فقد حوت من جوامع العلم، وجواهر الحِكَم، وحقائق المعرفة، وروائع التشريع، وبدائع التوجيه، وغرائب الأمثال، ونوادر التشبيه ما لم يحوه كلام بليغٍ ولا حكيم، مع سهولةٍ فائقة، وعذوبةٍ رائعة، وحيويةٍ بالغة، جعلت في الكلمات روحًا يسري كما تسري العصارة في الأغصان الحية، وهي أجدر أن توصف بأنها: تنزيلٌ من التنزيل، وقبسٌ من نور الذكر الحكيم، وهذا ما نوَّه به كبار الأدباء والبلغاء في مختلف العصور.

وقد خص الله عزَّ وجلَّ نبيه محمدًا بجوامع الكلم، فربما جمع أشتات الحِكَم والعلوم في كلمةٍ واحدة، أو شطر كلمة، وهذا من معجزات النبوة، ومن دلائل صدق النبي ﷺ.

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور ٣٦٩/٥.

(٢) من مقالة على الانترنت بعنوان: أمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم موقع: موسوعة كله لك.

فقد خصَّه الله بجوامع الكلم، وخصه ببدائع الحكم.

وقد ذكر النبي ﷺ ذلك في الحديث الذي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ)**[١].

قال الزهري: بَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ لَهُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ[٢].

وَقَالَ غَيره المُرَاد الموجز من القَوْل مَعَ كَثْرَة الْمعَانِي[٣].

وقال الخطابي: معناه: إيجاز الكلام في إشباعٍ للمعاني، يقول الكلمة القليلة الحروف، فتنتظم الكثير المعنى، وتتضمن أنواعًا من الأحكام[٤].

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن العاص ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ، فَقَالَ: **(أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ)** -قَالَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- **(وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ...** الحديث)[٥].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(يَا أَيهَا النَّاسُ إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ وَاخْتُصِرَ لِي اخْتِصَارًا وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً)**[٦].

وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ بِخَوَاتِمِه، فَقَالَ: **(أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ أَسْكَرَ عَنِ الصَّلَاةِ)**[٧].

قال العز بن عبد السلام: ومن خصائصه ﷺ: أنه بُعِث بجوامع الكلم، واخْتُصِر له الحديث اختصارًا، وفاق العرب في فصاحته وبلاغته[٨].

فكان رسول الله ﷺ أفصح الناس لسانًا، وأبلغ الناس لفظًا، وأوضحهم بيانًا، وأجودهم إلقاءً، وأحسنهم طريقة، وأذكاهم جنانًا، أوتي جوامع الكلم، وقوة البيان،

---

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ) ٥٤/٤ رقم: ٢٩٧٧، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧١/٢ رقم: ٥٢٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٤٧١/٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٩٩/١.

(٤) أعلام الحديث ١٤٢٢/٢.

(٥) مسند أحمد ١٧٩/١١ رقم: ٦٦٠٦ وإسناده حسن.

(٦) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما للضياء المقدسي ٢١٦/١ رقم: ١١٥.

(٧) صحيح مسلم ١٥٨٦/٣ رقم: ٢٠٠١.

(٨) مُنْيَةُ السُّولِ في تفضيلِ الرَّسُولِ ﷺ لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام صـ: ٣٥.

ودقة الأسلوب، وجمال العبارة، وجزالة الألفاظ، وسمو المعاني، التي ينذُرُ مثلها في البشر.

وكانت فصاحته ﷺ في ذِرْوَة الكمال البشري: بُعْدٌ عن التكلُّف في القول، وجزالةٌ في اللفظ، ووضوحٌ في الدلالة، ودِقَّةٌ في الوصف والتعبير، وإبداعٌ في التشبيه والتصوير، وإيجازٌ في القول، ومطابقةٌ لمقتضى الحال، مع العلم بطبائع النفوس وما هي محتاجة إليه.

فجوامع الكلم التي خُصَّ بها النبي ﷺ نوعان:

أحدهما: ما هو في القرآن، كقوله عز وجل: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**[(١)].

قال الحسن البصري: لم تترك هذه الآية خيرًا إلا أمرت به، ولا شرًا إلا نهت عنه[(٢)].

والثاني: ما هو في كلامه ﷺ، وهو منتشرٌ موجودٌ في السنن المأثورة عنه[(٣)].

ومن ذلك: قوله ﷺ: **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)** [(٤)].

وقد أعطى الله نبيه ﷺ جوامع الكلم لأن العرب الذين أُرسل إليهم كانوا مأخوذين بكل فصيحٍ بليغ، متنافسين في حفظ بليغ الشعر والمنثور، هذا فضلًا عن كون كلام النبي ﷺ دينٌ يتقرَّب المسلم بحفظه والعمل به إلى الله عزَّ وجلَّ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون كلامه، ويتلذَّذون بتكريره في مجالسهم، وتبليغه إلى من لم يسمعه منه.

فكان ﷺ يستخدم العبارة المُعجِزة، والإشارة المُفْهِمة، والرسم الدال على المعنى، حتى تفتَّحت قلوب سامعيه للهداية، وامتلأت صدور أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بتعاليمه، حتى كأنما كُتِبت فيها كتابًا بالكلمة والحرف، فأحبُّوا العلم ونهلوا

(١) سورة النحل الآية رقم: ٩٠.
(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ٥٥/١.
(٣) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ٦١٧/١.
(٤) البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ ٦/١ رقم: ١.

منه، كلٌّ على قدر استطاعته، ونقلوه إلى الجيل الذي جاء بعدهم من غير زيادةٍ أونقصان، أو تحريفٍ أو تشويه[١].

أمثلة على الإعجاز البياني في السنة النبوية:

ذكر العلماء أمثلةً كثيرة من أقواله ﷺ التي تؤيِّد ذلك، منها:

١- قوله ﷺ: (**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**)[٢].

٢- وقوله ﷺ: (**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**)[٣].

٣- وقوله ﷺ: (**الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**)[٤].

٤- وقوله ﷺ: (**النَّاسُ مَعَادِنُ**)[٥].

٥- وقوله ﷺ: (**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**)[٦].

٦- وقوله ﷺ: (**أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**)[٧].

٧- وقوله ﷺ: (**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**)[٨].

---

(١) راجع: مقال على موقع الألوكة بعنوان: بواعث الصحابة على خدمة السنة (٤) للمؤلف.

(٢) الترمذي أبواب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس من حديث أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ ٣٥٥/٤ رقم: ١٩٨٧ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢٤٩/٣ رقم: ١٧٢٣ من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٨/٢ رقم: ٩٥٩ من حديث علي بن أبي طالبٍ ﷺ وإسناده صحيح.

(٥) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ) ١٤٩/٤ رقم: ٣٣٨٣، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب خيار الناس ١٩٥٨/٤ رقم: ٢٥٢٦ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) أبو داود كتاب الأدب باب في المشورة ٣٣٣/٤ رقم: ٥١٢٨ من حديث أبي هريرة ﷺ بإسنادٍ صحيح.

(٧) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ ٨/١ رقم: ٧، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ١٣٩٣/٣ رقم: ١٧٧٣ كلاهما من حديث أبي سفيان بن حرب ﷺ.

(٨) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب المظالم والغصب باب الظلم ظلمات يوم القيامة ١٢٩/٣ رقم: ٢٤٤٧، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ١٩٩٦/٤ رقم: ٢٥٧٩ كلاهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

ومن بلاغته وجوامع كلمه ﷺ ما قاله من الكَلِم الذي لم يُسْبَق إليه، ولا قاله أحدٌ قبله ومنه:

١- قوله ﷺ: **(لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)** (١).

٢- وقوله ﷺ: **(حَمِيَ الْوَطِيسُ)** (٢).

ومعنى حمي الوطيس أي: اشتدت الحرب، **قال ابن الأثير الجزري:** الوطيس: التنور، وهو كناية عن شدة الأمر واضطرام الحرب، ويُقَال إن هذه الكلمة أول من قالها النبي ﷺ لمَّا اشتد البأس يومئذٍ ولم تُسْمَع قبله، وهي من أحسن الاستعارات(٣).

٣- وقوله ﷺ: **(مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ)** (٤)، قال عبد الله بن عتيك راوي الحديث: وَاللهِ إِنَّهَا لَكَلِمَةٌ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَعْنِي بِحَتْفِ أَنْفِهِ عَلَى فِرَاشِهِ(٥).

إلى غير ذلك مما ورد عنه ﷺ في الأحاديث الصحيحة، والتي بلغت من البيان منتهاه، ومن الفصاحة والبلاغة أقصاها، بحيث لا يقارن بها كلام بشرٍ مهما كان بليغًا.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَلَهُ ﷺ فِي هَذَا النَّوْعِ أَلْفَاظٌ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا ﷺ(٦).

وليس في العرب قاطبة من جمع الله فيه هذه الصفات، وأعطاه الخالص منها، وخصه بجملتها، وأسلس له مآخذها، وأخلص له أسبابها كالنبي ﷺ فهو اصطنعه لوحيه، ونصبه لبيانه، وخصه بكتابه، واصطفاه لرسالته.

---

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب الأدب باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٣١/٨ رقم: ٦١٣٣، ومسلم كتاب الزهد والرقائق باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٢٢٩٥/٤ رقم: ٢٩٩٨ كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٢) مسلم كتاب الجهاد والسير باب في عزوة حنين ١٣٩٨/٣ رقم: ١٧٧٥ من حديث العباس بن عبد المطلب.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٤٧/١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٩٧/٢ رقم: ٢٤٤٥ من حديث عبد الله بن عتيك ﷺ وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٩٧/٢.

(٦) شعب الإيمان للبيهقي ٤٢/٣.

الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.

عرَّف العلماء التشريع بأنه: مجموعة القواعد الشرعية التي تُعْرَف بها الأحكام المنظِّمة لحياة الناس في معاملاتهم(١)، وأحكام التشريع في الإسلام تُسْتَمَدُ من مصدرين:

مصدر إلهي وهو التشريع المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة وهو يتَّصف بالثبات والدوام لأن أحكامه منزلة من عند الله عزَّ وجل، ومصدر بشري وهو التشريع الذي يستمد قواعده من آراء المجتهدين من الفقهاء، وهو قابلٌ للتغيُّر، لأنه من وضع البشر.

والذي يعنينا في هذا المجال هو بيان الإعجاز التشريعي في السنة النبوية المطهرة، وهذا الموضوع لم يأخذ حقه من البحث والدراسة كغيره من جوانب الإعجاز الواقعة في السنة.

وقد تحدَّث العلماء عن جوانب كثيرة للإعجاز، وذهب بعضهم إلى أن باب الإعجاز مفتوح إلى يوم القيامة، وأنه بإمكان الخلف أن يضيف إلى ما ذكره السلف بحسب تطور الحياة والتقدم العلمي.

لذلك كان من واجب العلماء والدعاة أن يبحثوا عن جوانب الإعجاز الواقع في القرآن والسنة، وإضافة ما عساه يتكشَّف على مرِّ الأيام، لأن الحديث في الإعجاز لا سِيَّما العلمي والتشريعي أقرب السبل لإقامة الحجة على العباد، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة.

والإعجاز التشريعي دليلٌ على أن الإسلام جاء هدايةً للناس أجمعين، واشتمل على أحكام تشريعية تكفل سعادة العباد في الدنيا والآخرة، وتفي باحتياجاتهم الزمانية والمكانية، بخلاف ما عليه حال قوانين البشر وشرائعهم التي ظهر عجزها وما يزال عن معالجة متطلبات البشر، وثبت قصورها عن مسايرة الأوضاع المستجدة بين الحين والآخر.

تعريف الإعجاز التشريعي

والإعجاز التشريعي يعني: عجز المتفوقين في التشريع والتقنين عن أن يأتوا بأحكام مثله، أو أن يدركوا معظم ما فيه من كنوز المقاصد والعلل، أو بالإشارات والحكم المتعلقة بالأحكام التكليفية في جوانب الحياة المختلفة(٢).

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامي لبدران أبو العنين صـ: ١٢.

(٢) مقالة بعنوان: الإعجاز التشريعي مفهومًا ومزايا للدكتور يحيى الأسطل على موقعه على شبكة الإنترنت.

أهمية الإعجاز التشريعي

الإعجاز التشريعي من أهم وجوه الإعجاز على الإطلاق، لأنه معجز للبشرية قاطبة على مرِّ العصور، فبعض وجوه الإعجاز لا يدركها إلا المشتغلون بها، خاصةً البياني منها، فإنه قاصرٌ على أهل الفصاحة والبلاغة المتشبِّعين من علوم اللغة، بخلاف الإعجاز التشريعي، فإنه يمكن أن يعيه جميع العقلاء من البشر، ولو لم يكونوا عربًا، إذا وجدوا ترجمةً متقنةً لأحكام الشريعة، وعِلَل هذه الأحكام(١).

مزايا التشريع الإسلامي(٢)

تميَّز التشريع في الإسلام بمزايا كثيرة من أهمها:

١- أن التشريع الإسلامي ليس مجرد عقيدة وعبادة فقط، بل هو منهج حياة كامل، فهو إلى جانب كونه عقيدة وعبادة: معاملات وعلاقات دولية، وقضاء وعقوبات، فهو شامل لجميع مظاهر الحياة، وكل ما يحتاج إليه البشر في الحاضر والمستقبل.

٢- جاءت الشريعة الإسلامية بما يوافق الفطرة ولا يصادمها، فالشريعة الإسلامية مبناها على اليسر لا على العسر، وتعليمها للناس مبنيٌّ على التيسير لا على التعسير، والدعوة إليها قائمةٌ على التبشير لا على التنفير، فهذا الدين يُسر لا عُسر فيه؛ إذ لم يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وما جعل الله علينا في الدين من حرج، وقد بعث الله نبيه ﷺ بالحنيفية السمحة، ووضع الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، وقد علَّم النبي ﷺ أصحابه ذلك وربَّاهم عليه، فحين همُّوا بالأعرابي الذي بال في المسجد قال لهم: **(دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)**(٣).

ولما بعث أبا موسى الأشعري ﷺ ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن زوَّدهما بوصيةٍ جامعةٍ مختصرة قال فيها: **(يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ**

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع في هذا الموضوع: تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان صـ: ١٣٢، التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان لمحمد فهمي علي أبو الصفا صـ: ١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الوضوء باب صبُّ الماء على البول في المسجد ١/٥٤ رقم: ٢٢٠.

تَخْتَلِفَا)[1]، فشريعة الإسلام: تيسيرٌ لا تعسير فيه، وتبشيرٌ لا تنفير معه، وتطاوعٌ لا اختلاف فيه، وما قاله النبي ﷺ لمعاذ ﷺ قاله تعليمًا للأمة كلها فيما رواه عنه أنس بن مالك ﷺ قال: **(يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا)**[2].

حتى إذا كان أصل التشريع عسيرًا على بعض الأفراد أو الجماعات، فإن في الرخص والاستثناءات التي جاءت بها الشريعة متنفَّسًا واسعًا، والضرورات تبيح المحظورات، لكنها تقدر بقدرها، كما أن الحاجات تنزل منزلة الضرورات، عامة كانت أو خاصة.

ومبدأ التيسير ورفع الحرج عن الناس أصلٌ من أصول الشريعة، ومقصدٌ من مقاصدها، يقول الإمام الشاطبي: إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع[3].

٣- التشريع الإسلامي شامل لجميع الأزمنة والأمكنة[4]، ولذلك جاءت أكثر نصوصه بألفاظ العموم، أو بمصطلحات فضفاضة يمكن أن ينضوي تحتها كل المستجدات والنوازل، ومن ذلك أمره سبحانه بالبرّ والتقوى، ونهيه عن الإثم والعدوان، وكذا أمره بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحين نهى سبحانه عن أكل الأموال بالباطل دخل فيه كل المعاملات المنهي عنها، ويكفي في العموم أن الله تبارك وتعالى قد أحلَّ الطيبات، وحرَّم الخبائث[5].

٤- من أهم ما يميز التشريع الإسلامي حرصه على تحقيق مصلحة الناس في العاجل والآجل، فما شرع الله شيئًا في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ إلا كان الغرض منه تحقيق مصلحة الناس، سواءً كانت هذه المصلحة جماعية أم فردية،

---

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب الجهاد والسير باب ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب ٦٥/٤ رقم: ٣٠٣٨، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ١٣٥٩/٣ رقم: ١٧٣٣.

(٢) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ٢٥/١ رقم: ٦٩، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ١٣٥٩/٣ رقم: ١٧٣٤.

(٣) الموافقات للشاطبي ٥٢٠/١.

(٤) راجع: مدخل لدراسة الشريعة لعبد الكريم زيدان صـ: ٤٥.

(٥) مقالة بعنوان: الإعجاز التشريعي مفهومًا ومزايا للدكتور يحيى الأسطل على موقعه على شبكة الإنترنت.

فإذا تعارضت المصلحتان قدمت الشريعة مصلحة المجموع على مصلحة الفرد، ولذلك نجد الأحكام التشريعية –غالبًا– مقرونة بما ينشأ عنها من مصلحة، وما تدفعه من مفسدة، حتى يقبل الناس عليها مطمئنين، ويطبقونها راضين مقتنعين(١).

ولعلَّ من المناسب أن نقول أنه لا ينسب النجاح إلى أي تشريع أو قانون فيما وضع لأجله إلا إذا تحقَّقت فيه أربعة عناصر وهي:

١. أن يؤدِّي الغرض الذي جاء من أجله على أتم وجه.

٢. أن يتم له ذلك في أقل زمن أو في زمن قياسي بالنسبة إلى أي نظرية أو قانون آخر.

٣. أن يكون ذلك الغرض قد تحقَّق بأقلِّ ما يمكن من التكاليف.

٤. أن تكون سلبياته أكثر من إيجابياته.

وإن الدارس لتاريخ التشريع الإسلامي ليدرك تمامًا تحقُّق هذه الشروط الأربعة في التشريع الإسلامي.

الإعجاز التشريعي في السنة النبوية المطهرة

كل ما ذكره العلماء عن خصائص ومزايا الإعجاز التشريعي في القرآن، ينطبق على السنة الشريفة، فالسنة هي المفسرة للقرآن كما في قوله تعالى **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**(٢)، فهي التي تُقَيِّدُ مطلقه، وتبين مجمله، وتخصِّص عامّه، وقد تستقل بالتشريع، فقد أعطي ﷺ جوامع الكلم، وقال عن نفسه: **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**(٣)، وقد جاءت في الأحاديث النبوية مبادئ تشريعية وقواعد كلية جامعة في قوالب موجزة رائعة أطلق عليها الفقهاء: القواعد الفقهية، ولتوضيح ذلك وإبراز وجه الإعجاز التشريعي سنمثل لذلك بإعطاء مثلين:

---

(١) راجع: مدخل لدراسة الشريعة لعبد الكريم زيدان صـ: ٤٦.

(٢) سورة النحل جزء من الآية رقم: ٤٤.

(٣) أخرجه أحمد ٤١٠/٢٨ رقم: ١٧١٧٤ من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ ﷺ وإسناده صحيح.

المثال الأول: قال ﷺ: (**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**)[1]، وهو قد سيق بأسلوب النفي للجنس للمبالغة، لأن معناه النهي، أي لا يضر أحد بآخر فلا يُلْحِق به مفسدة مطلقًا، وكذلك لا يُلْحِق مفسدة على وجه المقابلة له، فلا يجوز الإضرار بأحدٍ في نفسه، أو ماله، أو عرضه، حتى ولو نتج ذلك من قيام الإنسان بالأفعال المباحة، كمن يحفر بئرًا في داره ولكنه يضر بجاره، وهذا ما يُسَمَّى بالتعسُّف في استعمال الحق الذي سبق فيه الإسلام كل النظم الحديثة.

وكذلك لا يجوز مقابلة الإضرار بالإضرار، فمثلًا لو أتلف شخصٌ مال آخر، فلا يجوز للآخر أن يقوم بإتلاف مال المُعْتَدِي، بل عليه أن يأخذ بدله عن طريق القضاء أو نحوه.

وتتفرَّع من هذا المبدأ آلاف المسائل والفروع حتى قال الإمام السيوطي: هَذِهِ الْقَاعِدَةَ يَنْبَنِي عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَبْوَابِ الْفِقْهِ مِنْ ذَلِكَ: الرَّدُّ بِالْعَيْبِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْخِيَارِ: مِنْ اخْتِلَافِ الْوَصْفِ الْمَشْرُوطِ، وَالتَّعْزِيرِ، وَإِفْلَاسِ الْمُشْتَرِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْحَجْرُ بِأَنْوَاعِهِ، وَالشُّفْعَةُ، لِأَنَّهَا شُرِعَتْ لِدَفْعِ ضَرَرِ الْقِسْمَةِ. وَالْقِصَاصُ، وَالْحُدُودُ، وَالْكَفَّارَاتُ، وَضَمَانُ الْمُتْلَفِ، وَالْقِسْمَةُ، وَنُصُبُ الْأَئِمَّةِ، وَالْقُضَاةِ، وَدَفْعُ الصَّائِلِ، وَقِتَالُ الْمُشْرِكِينَ، وَالْبُغَاةِ، وَفَسْخُ النِّكَاحِ بِالْعُيُوبِ، أَوْ الْإِعْسَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ [2].

المثال الثاني: قوله ﷺ: (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)[3]. فقد استنبط منه الفقهاء قاعدة: الأمور بمقاصدها، وهي من القواعد الفقهية الكبرى ولذلك **قال الإمام الشافعي:** هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه[4]، وقد حاول الإمام السيوطي أن يحصر هذه الأبواب فقال: مِنْ ذَلِكَ: رُبْع الْعِبَادَات بِكَمَالِهِ، كَالْوُضُوءِ، وَالْغُسْل فَرْضًا وَنَفْلًا، وَمَسْح الْخُفّ فِي مَسْأَلَةِ الْجُرْمُوقِ إذَا مَسَحَ الْأَعْلَى، وَهُوَ ضَعِيف، فَيَنْزِل الْبَلَل إلَى الْأَسْفَل، وَالتَّيَمُّم، وَإِزَالَة النَّجَاسَة عَلَى رَأْيٍ، وَغُسْل الْمَيِّت عَلَى رَأْي، وَالْأَوَانِي فِي مَسْأَلَة الضَّبَّة بِقَصْدِ الزِّينَة أَوْ غَيْرهَا، وَالصَّلَاة بِأَنْوَاعِهَا: فَرْض عَيْن وَكِفَايَة، وَرَاتِبَة وَسُنَّة، وَنَفْلًا مُطْلَقًا، وَالْقَصْر،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٦٦/٢ رقم: ٢٣٤٥ من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

(٢) الأشباه والنظائر صـ: ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ ٦/١ رقم:١.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٨٥/١.

وَالْجَمْع، وَالْإِمَامَة وَالِاقْتِدَاء وَسُجُود التِّلَاوَة وَالشُّكْر، وَخُطْبَة الْجُمُعَة عَلَى أَحَد الْوَجْهَيْنِ، وَالْأَذَان، عَلَى رَأْي، وَأَدَاء الزَّكَاة، ... وذكر غير ذلك من أبواب الفقه ثم قال: فَهَذِهِ سَبْعُونَ بَابًا، أَوْ أَكْثَر، دَخَلَتْ فِيهَا النِّيَّة كَمَا تَرَى، فَعُلِمَ مِنْ ذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ إنَّ مُرَادَ الشَّافِعِيِّ بِقَوْلِهِ: تَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنْ الْعِلْم: الْمُبَالَغَة، وَإِذَا عَدَدْت مَسَائِل هَذِهِ الْأَبْوَاب الَّتِي لِلنِّيَّةِ فِيهَا مَدْخَل لَمْ تَقْصُر عَنْ أَنْ تَكُون ثُلُث الْفِقْه أَوْ رُبْعه[1].

والإعجاز التشريعي موجودٌ في كل حكمٍ من قوانين هذا الدين، وإن كانت رؤية ذلك تختلف قوةً وضعفًا، حسب فهم المجتهد، وقدرته على الاستنباط، والأمثلة التي تدل على وقوع الإعجاز التشريعي في السنة النبوية كثيرة نذكر بعضها على سبيل التمثيل وليس الحصر:

١- بيان بطلان البيع الذي يشتمل على غرر فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: **(نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ)**[2].

فالنهي عن بيع الغرر أصلٌ عظيمٌ من أصول كتاب البيوع، ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة كبيع المعدوم، والمجهول، وما لا يُقْدَر على تسليمه، وما لم يتمّ ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع ثوبٍ من أثواب، وشاةٍ من شياهٍ، ونظائر ذلك، وكل هذا بيعه باطل لأنه غرر من غير حاجة، وقد أجمع المسلمون على بطلان بيع الغرر إلا إن دعت حاجة إلى ارتكاب الغرر، ولا يُمكن الاحتراز عنه إلا بمشقة، وكان الغرر حقيرًا، وكانت هذه البيوع منتشرةٌ في الجاهلية، فأبطلها النبي ﷺ بالنصوص التشريعية لما ينتج عنها من شرور ومفاسد وظلم وغبن مالي وتجاري ومنازعات[3].

٢- بُطلان بيع المبيع قبل القبض، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا، فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ)**[4].

---

(١) الأشباه والنظائر صـ: ٩-١١.

(٢) أخرجه مسلم كتاب البيوع باب بطلان بيع الحصاة، والبيع الذي فيه غرر ١١٥٣/٣ رقم: ١٥١٣.

(٣) راجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٥٦/١٠.

(٤) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب الكيل على البائع والمعطي ٦٧/٣ رقم: ٢١٢٦، ومسلم في صحيحه كتاب البيوع باب بطلان بيع المبيع قبل القبض ١١٦٠/٣ رقم: ١٥٢٦.

والعلة في ذلك: أن عدم استيفاء السلعة، أو قبضها، أو استلامها بيد الشاري يؤدِّي إذا لم يتم إلى فتح باب الريب والشكوك الموصلة للمنازعات، فربما تنشأ ظروف قاهرة تمنع التسليم، أو تتلف السلعة، أو تودي بها إلى الهلاك، فإذا باعها صاحبها قبل استلامها دخل مع من اشترى منه في دائرة التزوير والغش وعدم القدرة على التسليم، فصار كبيع المجهول والمعدوم أي بيع الغرر.

ولهذا كله حرص النبي ﷺ على منع ذلك باستيفاء السلعة ابتداءً، لسد الذرائع.

٣- النهي عن بيع الثمار قبل بدوّ صلاحها، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ (**نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَصْلُحَ**) (١)، وفي روايةٍ أخرى عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ (**نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا، نَهَى الْبَائِعَ وَالْمُبْتَاعَ**)(٢).

والعلة في النهي عن مثل هذا البيع هي: الخوف من عدم ظهور الثمار إذا تعاقد الشاري والبائع قبل هذه المرحلة فيكون كشراء المعدوم، وهذه المشكلة تنتشر اليوم في العقود الزراعية باسم (ضمان الأراضي) خلافًا للسنة حيث يضمن أصحاب البساتين الزراعية محصولها على مبلغ معين قبل ظهور ثمارها، وربما ظهرت آفة أو جائحة أو صقيع أو جفاف مانع لظهور الثمار، فتبدأ المنازعات بين المتعاقدين ومعها خراب بيوت الناس، وهذا الذي حذر منه ﷺ (٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب السلم باب السلم في النخل ٣/٨٦ رقم: ٢٢٤٩.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البيوع باب النهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها بغير شرط القطع ٣/١١٦٥ رقم: ١٥٣٤.
(٣) مقالة بعنوان: الإعجاز التشريعي في الإسلام ٣ للدكتور: محمد عبد الرحمن المرعشلي على موقع مجلة الإعجاز العلمي في لبنان العدد ٥١ على شبكة الإنترنت.

الفصل الرابع: الإعجاز الطبي في السنة النبوية.

الطب هو العلم الذي يُبْحَثُ فيه عن أحوال بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض[١]، واللافت للنظر في الأحاديث النبوية التي تناولت موضوع الطب هو: التركيز على جانب الطب الوقائي وهو يعني: حفظ وصيانة النفس من الوقوع في الأذى والضرر قبل حدوثه سواءً كان ذلك الضرر ماديًا أم معنويًا[٢]، فإن الإسلام جاء لهداية الإنسان، وتحقيق سلامته العقلية، والجسدية أيضًا، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**)[٣].

وليس معنى هذا أن الأحاديث النبوية قد اشتملت على كل ما يحتاج إليه المرضى، بل هي إشاراتٌ وتوصياتٌ ونصائح، ولذلك كان النبي ﷺ يوصي أمته بالتداوي، وسؤال أهل الاختصاص في الطب، فعَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا بِهِ جُرْحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**ادْعُوا لَهُ طَبِيبَ بَنِي فُلَانٍ**)، قَالَ: فَدَعَوْهُ فَجَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَيُغْنِي الدَّوَاءُ شَيْئًا؟ فَقَالَ: (**سُبْحَانَ اللهِ، وَهَلْ أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا جَعَلَ لَهُ شِفَاءً**)[٤].

ومعنى الإعجاز الطبي في السنة: أن النبي ﷺ قد تحدَّث في أمورٍ طبيَّة لم يكن لأحدٍ من أهل عصره – حتى المتخصصون منهم – علمٌ بها، ثم جاء العلم الحديث فأثبت صحة هذه الأقوال.

والأمثلة الدالة على وقوع الإعجاز الطبي في السنة النبوية كثيرةٌ جدًا، ومما يؤكِّد ذلك: أن الإمام البخاري قد عنون أحد كتبه في جامعه الصحيح باسم كتاب الطب، وقد أورد فيه مائةً وثمانية عشر حديثًا، وسأذكر بعض هذه الأمثلة:

المثال الأول: حديث الذبابة

الذباب من الحشرات التي تقع على الفضلات والمواد القذرة فينقل الكثير من الجراثيم والأمراض، وربما وقع على طعام الإنسان وشرابه فيلوِّثه بما يحمله من هذه الجراثيم، وقد أرشد النبي ﷺ من أراد أن يأكل أو يشرب من الطعام الذي وقعت فيه ذبابة، أن يغمس الذبابة فيه بعد وقوعها حرصًا على صحة الآكل

(١) كتاب التعريفات للجرجاني صـ: ٢٣٦.
(٢) راجع كتاب: الطب الوقائي في السنة النبوية لمحمد أسود صـ: ١٨.
(٣) أخرجه مسلم كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٢٠٥٢/٤ رقم: ٢٦٦٤.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٧/٣٨ رقم: ٢٣١٥٦، وإسناده صحيح.

والشارب، وحفاظًا على الطعام والشراب من التلف، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً)**[1]، وفي رواية: **(وَإِنَّهُ يَتَّقِي بِجَنَاحِهِ الَّذِي فِيهِ الدَّاءُ)**[2].

وهو حديث صحيح يجب على المسلم أن يتلقَّاه بالتصديق والقبول، وألا يعارضه بعقله القاصر، لأنه قد ثبت عمَّن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهذا الحديث ذكر قضيتين كلتاهما لم تكن معروفة قديمًا، ولم يكتشفها العلماء إلا حديثًا: **أولاهما:** أن الذباب ناقلٌ للأدواء والجراثيم، وهذا شيء أصبح الآن معروفًا ومسلَّمًا به لدى الجميع، **وثانيهما:** وهي التي ظلَّ الكثير يجهلونها حتى وقتٍ قريب وهي: أن الذباب يحمل في أحد جناحيه مضادات للجراثيم من النوع الممتاز كذلك.

وقد كان هذا الأمر غريبًا وغير مفهومٍ حتى اكتشف الأطباء حديثًا صحة هذا الأمر، فقد أثبتت الدراسات والأبحاث الطبية أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات، وهذا الطفيلي يلازم الذبابة على الدوام، وهو يقضي حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة بشكل خلايا مستديرة فيها إنزيم خاص، ثم لا تلبث هذه الخلايا المستديرة أن تستطيل فتخرج من الفتحات أو من بين مفاصل حلقات بطن الذبابة، فتصبح خارج جسم الذبابة، ودور الخروج هذا يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر، وفي هذا الدور تتجمَّع بذور الفطر داخل الخلية، فيزداد الضغط الداخلي للخلية من جرَّاء ذلك، حتى إذا وصل الضغط إلى قوة معيَّنة لا تحتملها جدر الخلية، انفجرت الخلية وأطلقت البذور إلى خارجها بقوة دفع شديدة إلى مسافة اثنين سم خارج الخلية، على هيئة رشاش مصحوبًا بالسائل الخلوي، ولهذا الإنزيم الذي يعيش في بطن الذبابة خاصية قوية في تحليل وإذابة الجراثيم، وعلى هذا إذا أمعنا النظر في ذبابة ميِّتة ومتروكه على الزجاج نشاهد:

أ- مجالًا من بذر هذا الفطر حول الذبابة المذكورة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الطب باب إذا وقع الذباب في الإناء ٧/١٤٠ رقم: ٥٧٨٢.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأطعمة باب في الذباب يقع في الطعام ٣/٣٦٥ رقم: ٣٨٤٤. وإسناده صحيح.

ب- ويُشَاهد حول القسم الثالث والأخير من الذباب على بطنها وعلى ظهرها وجود الخلايا المتفجرة، والتي خرجت منها البذور وقد برز منها رؤوس الخلايا المستطيلة التي مرَّ ذكرها.

وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شرابٍ أو طعام، وألقى بالجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب أو الطعام، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم هو ما يحمله الذباب في جوفه قريبًا من أحد جناحيه، فإذا غُمِسَت الذبابة في الطعام أحدثت هذه الحركة ضغطًا داخل الخلية الفطرية الموجودة في جسم الذبابة، مما يزيد من توتُّر السائل داخلها زيادة تؤدِّي إلى انفجار الخلايا، وخروج الأنزيمات المضادة للأمراض، فتقع على الجراثيم التي تنقلها الذبابة بأرجلها فتهلكها وتبيدها، ويصبح الطعام طاهرًا وخاليًا من الجراثيم المرضية، وهنا أمرٌ يجب الانتباه له عند التعامل مع هذا الحديث، حتى لا يبقى هناك مجال للمشكِّكين في الحديث وهو: أن الأمر في الحديث إنما هو أمر إرشاد لا أمر وجوب، قال الحافظ ابن حجر: قَوْلُهُ ﷺ: **(فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ)** أَمْرُ إِرْشَادٍ لِمُقَابَلَةِ الدَّاءِ بِالدَّوَاءِ[1].

فالنبي ﷺ لم يأمر من وقعت ذبابة في طعامه أو شرابه أن يستمر في الطعام والشراب، إن عافته نفسه، وإنما أرشد النبي ﷺ من أراد أن يأكل من هذا الطعام أو الشراب الذي وقعت فيه الذبابة أن يغمسها فيه، وأما من تعاف نفسه هذا الطعام، ولا يريد الأكل منه فلا يلزمه الاستمرار، ولا يكون بذلك مخالفاً لأمر النبي ﷺ، وهذا الأمر وإن بدا غريبًا قديمًا فإن الاكتشافات الطبية الحديثة قد أثبتت صحته بما لا يدع مجالًا للشك.

قال الخطابي: وقد تكلَّم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال: كيف يكون هذا؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدِّم جناح الداء وتؤخِّر جناح الشفاء، **قال:** قلتُ: وهذا سؤال جاهل أو متجاهل، فإن كثيرًا من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة، وقد ألَّف الله بينها وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان، وإن الذي ألهم النحلة اتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه، وألهم النملة أن تدَّخر قوتها أوان حاجتها، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت، لقادر على إلهام الذبابة أن تقدم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٢٥٠.

جناحًا وتؤخِّر آخر؛ لما أراد من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد والامتحان الذي هو مضمار التكليف، وفي كل شيء عبرة وحكمة وما يذكَّر إلاّ أولو الألباب[1].

وقال ابن الجوزي: ما نُقِل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تُعَسِّلُ من أعلاها، وتلقي السم من أسفلها، والحية القاتل سمها تدخل لحومها في الترياق الذي يعالج به السم، والذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء البصر، وذكر بعض حذاق الأطباء أن في الذباب قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه، وهي بمنزلة السلاح له، فإذا سقط الذباب فيما يؤذيه تلقَّاه بسلاحه، فأمر الشارع أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله تعالى في الجناح الآخر من الشفاء فتتقابل المادتان فيزول الضرر بإذن الله تعالى[2].

وقد نقل عن الأطباء غير المسلمين ما يؤكِّد هذه الحقيقة: ففي سنة ١٨٧١، وجد الأستاذ الألماني (بريفلد) من جامعة (هال) بألمانيا أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات سماه (امبوزاموسكي) وهو طفيلي يعايش الذبابة على الدوام، وبالتدقيق فيه وجده من نوع من الفطور التي تسمى (انتوموفترالي) وهي تنتمي إلى أهم فصيلة في الفطور الأشنية وهي المسماة بالفطور الأشنية المرتبطة أو المتحدة، وهو من النوع الثاني للفطر المسمى الفطور الأشنية الطفيلية، وهذا الطفيلي يقضي حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة بشكل خلايا مستديرة، ثم لا تلبث هذه الخلايا المستديرة أن تستطيل فتخرج من الفتحات أو من بين مفاصل حلقات بطن الذبابة فتصبح خارج جسم الذبابة[3].

وقد جاءت مكتشفات العلماء الحديثة مؤيِّدة لما اكتشفه (بريفلد) ومبيِّنة خصائص عجيبة لهذا الفطر الذي يعيش في بطن الذبابة، منها:

١- في عام ١٩٤٥ أعلن أكبر أستاذ في علم الفطريات وهو (لانجيرون) أن هذا الفطر الذي يعيش دومًا في بطن الذبابة على شكل خلايا مستديرة فيها خميرة خاصة (إنزيم) قوية تحلل وتذيب من أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

٢- في عام ١٩٤٧- ١٩٥٠ تمكن العالمان الإنجليزيان (آرنشتين) و (كوك) والعالم السويسري (روليوس) من عزل مادة سموها (جافاسين) استخرجوها من

(١) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود للخطابي ٢٥٩/٤.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٥٢/١٠.
(٣) حول حديث الذباب لأمين محمد سالم صـ: ٥٣.

فصيلة الفطور التي تعيش في الذباب، وتبيَّن لهم أن هذه المادة مضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم غرام السالبة والموجبة والديزانتريا والتيفوئيد(١)، والخلاصة أنه يستدل من كل ما سبق على الآتي:

أ- يقع الذباب على الفضلات والمواد القذرة والبراز وما شابه ذلك، فيحمل بأرجله أو يمج كثيرًا من الجراثيم المرضية الخطرة.

ب- يقع الذباب على الأكل فيلمس بأرجله الملوثة الحاملة للمرض هذا الطعام أو هذا الشراب، فيلوثه بما يحمل من سم ناقعٍ، أو يتبرَّز عليه فتخرج تلك الجراثيم الدقيقة الممرضة.

ج- فإذا حُمِلت الذبابة من الطعام، أو الشراب، وأُلْقِيَت خارجه دون غمس، بقيت هذه الجراثيم في مكان سقوط الذباب، فإذا تناولها الآكل مع طعامه وهو لايعلم طبعًا، دخلت فيه الجراثيم، فإذا وجدت أسبابًا مساعدة، تكاثرت ثم صالت وأحدثت لديه المرض، فلا يشعر إلا وهو فريسة للحمى طريحًا للفراش.

د- أما إذا غمست الذبابة كلها، أو مقلت في الطعام فماذا يحدث؟ إذا غمست الذبابة أحدثت هذه الحركة ضغطًا داخل الخلية الفطرية الموجودة مع جسم الذبابة فزاد توتر البروز والسائل داخلها زيادة تؤدِّي لانفجار الخلايا، وخروج الأنزيمات الحاملة لجراثيم المرض والقاتلة له، فتقع على الجراثيم التي تنقلها الذبابة بأرجلها فتهلكها وتبيدها، ويصبح الطعام طاهرًا من الجراثيم المرضية.

وهكذا يضع العلماء بأبحاثهم تفسيرًا للحديث النبوي المؤكِّد لضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء ليخرج من بطنها الدواء الذي يكافح ما تحمله من داء.

بعد هذه الاكتشافات المتنوعة والتي رأينا من خلالها عدداً من الحقائق المتعلقة بحشرة الذباب، فإننا نشهد بأن الإخبار الذي جاء في السنة المطهرة هو كلام حق، وهو وحيٌ من عند الله عز وجل.

ففي الوقت الذي لا توجد فيه أبسط وسائل الاكتشاف للأمور الصغيرة والدقيقة، يخبرنا النبي ﷺ عن حقيقتين علميتين، لم يكن يعرفهما أحدٌ من علماء عصره:

الأولى: أن الذباب ناقل للداء.

والثانية: أن هذا الناقل للداء يحمل أيضًا دواء هذا الداء في أحد جناحيه.

(١) حول حديث الذباب لأمين محمد سالم صـ: ٥٤.

وهذا من الأمور التي لا يمكن للعقل أن يتخيلها بدون دراسات علمية يقوم بها باحثون ذو خبرات عالية مستخدمين في ذلك أقوى المجاهر والمعامل المتطورة، ولذلك أنكر هذا الحديث –وحكم عليه بالضعف والوضع– عدد من المسلمين الذين لم تتخيل عقولهم هذا الخبر العجيب.

وبعد رحلة من الدراسات العلمية الطويلة التي انصبت على الذباب، تفاجئنا البحوث العلمية الحديثة بمعلومات تتطابق مع أخبر به الرسول الكريم ﷺ، فإذا بهم يكتشفون أن الذباب يحمل مئات الملايين من الجراثيم، وفي نفس الوقت يحمل البكتريوفاج التي تقتل هذه الجراثيم وتبيدها، وفي طيات هذه الأجنحة أنواع عديدة من المضادات النافعة والمقاومة للعديد من الأمراض، وكل هذا يثبت أن في جناح هذه الحشرة داء وفي الآخر دواء، وهذا هو عين ما أخبرت به الأحاديث النبوية.

ففي هذا الحديث الصحيح وجهٌ من وجوه الإعجاز النبوي في مجال الطب، سبق النبي ﷺ به كل العلوم والأبحاث والاكتشافات الطبية الحديثة(١).

قال ابن القيم: وهذا طب لا يهتدي إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارجٌ من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفَّق يخضع لهذا العلاج، ويُقِرُّ لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيَّد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية(٢).

المثال الثاني: أحاديث الحمى

ترتفع درجة حرارة الإنسان لعدة أسباب منها: أن يصاب بالتهاب فيروسي، فإذا ارتفعت هذه الحرارة ووصلت إلى (٤١) درجة مئوية وجب تخفيضها بأسرع وقت، حتى ينتظم مركز الحرارة بالمخ، ويعود الجسم إلى حالته الطبيعية المعتادة، وهذا الارتفاع المفاجئ لدرجة الحرارة هو ما يعرف بالحمى، وقد تحدَّثت السنة عن موضوع الحمى في مواطن متعددة، وقد ذكرت الأحاديث الصحيحة علاجًا نبويًا لخفض درجة الحرارة المرتفعة، وهو علاج واضح وصريح، كما أنه سهل وغير مكلف، ويمكن لأي مريض أن يطبقه في أي مكان ودون الحاجة إلى طبيب،

(١) راجع في هذا الموضوع كتاب: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لعلاء الدين المدرس صـ: ٢٨.

(٢) الطب النبوي لابن القيم صـ: ٨٤، وراجع كتاب: الإصابة في صحة حديث الذبابة لخليل إبراهيم خاطر.

وقد كشفت الأبحاث العلمية الحديثة عن حقائق كثيرة تتعلَّق بالحمى، ومن خلالها نرى التطابق واضحًا جليًّا بينها وبين ما جاءت به الأحاديث النبوية، مما يدل على وقوع الإعجاز العلمي في هذه الأحاديث النبوية، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ[1] فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ)**[2].

وجاء في بعض الأحاديث طريقة استخدام الماء في إبراد الحمى، فَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ المُنْذِرِ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَتْ إِذَا أُتِيَتْ بِالْمَرْأَةِ قَدْ حُمَّتْ تَدْعُو لَهَا، أَخَذَتِ المَاءَ، فَصَبَّتْهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَيْبِهَا[3]، قَالَتْ: **(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَبْرُدَهَا[4] بِالْمَاءِ)**[5].

الحمى في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة:

يتم تشخيص الحمى بارتفاع في درجة حرارة الجسم، وتحدث الحمى في حالة حدوث عدوان على جسم الإنسان سواءً عن طريق خلايا بكتيرية أو سرطانية أو فيروسات أو فطريات أو أي جروح أو أمراض داخلية، فالحمى تحدث كجزءٍ من تفاعل الجسم البشري لمواجهة المرض أو الإصابة، وهذا ما أثبته العلم حديثًا، وقد كان المعتقد أن الحمى تحدث بتأثير المرض الداخل إلى الجسم[6].

علاج الحمى بالماء:

ومع أن وسائل العلاج، وأنواع الأدوية والمضادات قد قفزت قفزات كبيرة في هذا العصر، إلا أن العلاج النبوي يظل هو العلاج الأفضل والأمثل في مثل هذه الحالة، فكثير من الحالات ترتفع فيها حرارة المريض ولا تتأثر بالأدوية الخافضة للحرارة، فيلجأ الأطباء إلى استعمال الماء البارد لتخفيضها وإعادتها إلى وضعها

---

(١) فيح جهنم: سطوع حرِّها وانتشاره وغليانها راجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١١٨/٥.

(٢) متفق عليه أخرجه: البخاري كتاب الطب باب الحمى من فيح جهنم ١٢٩/٧ رقم: ٥٧٢٥، ومسلم كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٣٢/٤ رقم: ٢٢١٠.

(٣) الجيب هو: فتحة الثوب من أعلاه من ناحية العنق.

(٤) نبردها: بفتح أوله وضم الراء الخفيفة من التبريد. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٧٨/١٠.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الطب باب الحمى من فيح جهنم ١٢٩/٧ رقم: ٥٧٢٤.

(٦) الحمى التي تحدث في حالة المرض والإصابة للدكتور: حسني الدسوقي حمامة على موقع الألوكة.

الطبيعي، ولهذا ينصح أطباء الأطفال الأهلَ بتجريد الطفل من ثيابه فورًا عند ارتفاع حرارته، وتعريضه للماء البارد والكمادات.

وقد كشف العلم حديثًا: أن التبريد بالماء مفيد جدًا في معالجة الحمى، وأول ما ينصح به الطبيب اليوم هو عمل الكمادات بالماء البارد ووضع الثلج على رأس المحموم وغير ذلك.

والمعالجة بالكمادات الباردة والماء المثلج نوع هام من العلاج للحمى، وإذا كانت الأدوية النوعية المضادة للحميات لم تكتشف إلا في القرن التاسع عشر، وكذلك مخفضات الحرارة كالإسبرين والكينين فقد كان استعمال الماء البارد هو الطريقة الأولى للعلاج، وإذا كان النبي ﷺ قد نبَّه إلى هذه الواسطة العلاجية الهامة فالإعجاز في دعوته تلك، أن تبريد الحمى بالماء ما يزال هو العلاج العرضي الأمثل والذي يشترك حاليًا مع الأدوية النوعية.

فالأحاديث التي جاءت في علاج الحمى عن طريق استخدام الماء، قد طابقت الحقيقة العلمية اليوم، والتي تثبت بأن الماء من أنجح الوسائل في خفض درجة حرارة الجسم(١).

المثال الثالث: سنن الفطرة:

دعا الإسلام إلى كل خير، فدعا العباد للالتزام بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، والفطرة هي ما جُبِل عليه الإنسان في أصل خلقته، وهي ما يميل الإنسان إليه بطبعه وذوقه السليم، وقد أرشدت السنة النبوية المطهرة إلى عددٍ من أمور الفطرة، وأسمت تلك الأمور سنن الفطرة، وفي هذا الإرشاد لسنن الفطرة دعوة صريحة للمحافظة على نظافة الفرد والصحة العامة، وفي هذا سبقٌ علمي يكشف عن حقيقةٍ علمية، تتعلَّق بالطب الوقائي وعلم الكائنات الدقيقة، وقد بيَّن النبي ﷺ في سنته سنن الفطرة فقال: **(الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ)**(٢)، وجاء التوقيت لها في السنة: فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ:**(وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ،**

(١) الحمى والماء البارد للدكتور: كامل شاشيط على موقع الألوكة.

(٢) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب اللباس باب قص الشارب ٧/١٦٠ رقم: ٥٨٨٩، ومسلم كتاب الطهارة باب خصال الفطرة ١/٢٢١ رقم: ٢٥٧ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[1].

فذكر الحديث خمس خصالٍ، وعدَّها من الفطرة، وقد كشفت لنا الدراسات الطبية الأهمية الصحية البالغة لتطبيق هذه الخصال، والأضرار الخطيرة المترتِّبة على إهمالها وعدم الاهتمام بها.

أول هذه الخصال: **الختان:** وهو قطع جميع الجلدة التي تُغطِّي الحشفة، حتى تنكشف جميع الحشفة[2]، وقد أثبتت الدراسات الطبية أن للختان فوائد كثيرة، وأنه وقاية من الكثيرٍ من الأمراض المهلكة والتي تنتشر بكثرة بين غير المختونين، ومن تلك الفوائد: الوقاية من الالتهابات الموضعية في القضيب، والوقاية من إصابة الأطفال بالتهاب المجاري البولية، والوقاية من الكثير من الأمراض الجنسية، والوقاية من سرطان القضيب[3].

الثاني: الاستحداد، ومعنى الاستحداد: حلق شعر العانة، وشعر العانة هو الشعر الموجود فوق ذَكَرِ الرجل وحواليه، وكذا الشعر النابت حول فرج المرأة[4]، وقد أثبتت البحوث الطبية أن حلق شعر العانة يقي الإنسان من كثيرٍ من الأمراض التي يسبِّبها ترك حلقها، فشعر العانة إذا طال أصبح مقرًا خصبًا لأنواعٍ من الجراثيم والطفيليات، فترك حلق شعر العانة يؤدِّي إلى: تقرحاتٍ والتهاباتٍ في هذه المنطقة، كما يؤدِّي إلى التهابها، ونتنها، وتصاعد الروائح الكريهة منها، وإلى إصابتها بالعديد من الأمراض، خاصةً الالتهابات، والأمراض الجلدية، وأمراض الجهازين: البولي، والتناسلي، مما قد يتعدَّى الأفراد إلى أسرهم ومجتمعاتهم، عن طريق الاستخدامات المشتركة مثل: حمامات السباحة، والمناشف وغيرها، خاصةً بين الزوجين[5].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب خصال الفطرة ٢٢٢/١ رقم: ٢٥٨.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤٨/٣.

(٣) راجع في هذا الموضوع: الإعجاز الطبي للسنة النبوية من خلال صحيح البخاري ومسلم لأحمد العزب ٨٩-٩٦، أحاديث الختان حجيتها وفقهها لسعد المرصفي صـ: ١٨، الحكمة من الختان لمحمد شيخو صـ: ١٣١.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤٨/٣.

(٥) راجع في هذا الموضوع: الإعجاز العلمي في السنة النبوية لزغلول النجار ١١٦/٢ – ١١٧، الطب الوقائي النبوي لمحمود محمد صـ: ٣٦، من إعجاز السنة المشرفة لمحمد شاكر صـ: ٣٧.

الثالث: تقليم الأظفار، والتقليم معناه: إزالة ما يزيد عن الشيء ليكون صالحًا لأداء مهمته، وتقليم الأظفار معناه: إزالتها بالقصِّ والقطع، والمراد: إزالة ما يزيد على ما يلابس رأس الإصبع من الظفر؛ لأن الوسخ يجتمع فيه فَيُسْتَقْذَرُ، وقد ينتهي إلى حدٍّ يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة، وتقليم الأظفار يعمل على إزالة الجيوب التي تكون بين الأنامل والأظفار، وهذه الجيوب تختبئ فيها الأوساخ، ومسبِّبات الأمراض، ويصعب تنظيفها، فتنطلق منها الروائح الكريهة.

والأظافر الطويلة قد تكون مصدرًا للعدوى بكثيرٍ من الأمراض التي تنتقل عن طريق الفم والملامسة بالمصافحة، أو تقديم الطعام والشراب، كما قد تكون مصدرًا للتسمُّم عند ملامسة المواد السامة، أو سببًا في الإصابة بالجروح والتسلُّخات، أو إحداثها بالغير(١).

الرابع: نتف الإبط، والأفضل فيه النتف لمن قوي عليه، ويحصل أيضًا بالحلق(٢)، ومنطقة الإبط مثل منطقة العانة يكثر فيها العرق كما تكثر الإفرازات الدهنية، فإذا تراكمت معها الأوساخ والغبار أصبح لها رائحة كريهة، وإن نتف هذا الشعر يخفف من هذه الرائحة، ويخفِّف من الإصابة بالعديد من الأمراض التي تصيب تلك المنطقة مثل: الالتهابات الموضعية، والدمامل، والجرب وغيرها(٣).

الخامس: قص الشارب، وهو الشعر النابت على الشفة العليا(٤)، وقد أمر الشارع بقصِّ الشارب لأن طول الشارب وهو في أسفل الأنف وفوق الفم يعرضه لإفرازاتهما، ونخامهما مما يلوثه بتلك الإفرازات وببقايا الطعام والشراب ويصعب تنظيفه وتنظيفهما مما يجعله ويجعلهما مرتعًا للأوساخ والفطريات والجراثيم،

(١) راجع كتاب: الإعجاز العلمي في السنة النبوية لزغلول النجار صـ: ١١٨.
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤٩/٣.
(٣) راجع: أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي لأيمن السعيد صـ: ٤٧، الطب الوقائي في الإسلام لعمر بن محمود صـ: ٦١، الإعجاز الطبي للسنة النبوية من خلال صحيح البخاري ومسلم لأحمد العزب ١٠٨ – ١١٢.
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٣٥/١٠.

ومنبعًا للروائح الكريهة التي تؤذي صاحب الشارب نفسه، وتسبِّب له الأمراض، كما تؤذي كل من يقترب منه لتعرُّضه للروائح الكريهة(١).

من خلال ما سبق وهو قليلٌ من كثيرٍ رأينا أن الخصال الخمس السابقة والمسماة بـ (سنن الفطرة) جاءت متفقة تمامًا مع ما كشف عنه الطب الوقائي، والعجيب بل المعجز أن تصدر هذه التوجيهات من نبي أميّ، وتكون متطابقة في جميعها مع اكتشافات الطب الوقائي، وهو علمٌ من العلوم الحديثة لم يتبلور ولم يظهر للوجود إلا بعد اكتشاف علم الكائنات الدقيقة بأنواعها وخواصها المختلفة، وبعد التقدُّم العلمي والتقني الهائل في معرفة مسببات الأمراض، والذي لم يحدث إلا في القرن العشرين، فكان نبينا محمد ﷺ أول من وضع أصول الطب الوقائي، وهكذا أثبت العلم سبق السنة النبوية في الإشارة إلى الكائنات الدقيقة، وتقديمها لأنجح السبل في القضاء عليها، وحماية الإنسان ووقايته من أخطارها.

المثال الرابع: النهي عن الشرب واقفًا

نهى النبي ﷺ عن الأكل والشرب واقفًا، وقد جاءت المعارف العلمية الحديثة لتثبت الفائدة الصحية من هذا التوجيه النبوي العظيم.

وقد جاءت عدَّة أحاديث صحيحة تنهى عن الأكل والشرب واقفًا، وجاءت بعض الأحاديث الدالة على جواز هذا الأمر، وسنعرض هذه الأحاديث، ونذكر أقوال علماء المسلمين في الجمع بين هذه الأحاديث النبوية، ووجه الإعجاز الطبي فيها.

أولًا: الأحاديث الواردة في النهي عن الأكل والشرب واقفًا:

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (**أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا**)، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا فَالْأَكْلُ، فَقَالَ: ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخْبَثُ(٢)، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا**)(٣)، وفي

(١) راجع في هذا الموضوع: الإعجاز العلمي في السنة النبوية لصالح رضا ١/١٢٠ – ١٢٣، في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث لمحمود طلوزي صـ: ٣٤، الطب الوقائي في الإسلام لعمر بن محمود صـ: ٦١.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الأشربة باب كراهية الشرب قائمًا ٣/١٦٠٠ رقم: ٢٠٢٤.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الأشربة باب كراهية الشرب قائمًا ٣/١٦٠١ رقم: ٢٠٢٥.

رواية عنه أيضًا: **(نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا)**[1]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ)**[2].

ثانيًا: الأحاديث الواردة في جواز الأكل والشرب قائمًا:

عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ قَالَ: أَتَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بَابِ الرَّحَبَةِ فَشَرِبَ قَائِمًا فَقَالَ: إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِنِّي **(رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ)**[3].

وَعَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **(سَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ)**[4].

أقوال العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث:

يقول النووي رحمه الله: هذه الأحاديث أَشْكَلَ معناها على بعض العلماء حتى قال فيها أقوالًا باطلة، وزاد حتى تجاسر ورام أن يُضَعِّفَ بعضها، وادَّعى فيها دعاوى باطلة لا غرض لنا في ذكرها، ولا وجه لإشاعة الأباطيل والغلطات في تفسير السنن، بل نذكر الصواب، ويشار إلى التحذير من الاغترار بما خالفه، وليس في هذه الأحاديث بحمد الله تعالى إشكال ولا فيها ضعف بل كلها صحيحة، والصواب فيها أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه، وأما شربه ﷺ قائمًا فبيانٌ للجواز، فلا اشكال ولا تعارض، وهذا الذي ذكرناه يتعيَّن المصير إليه، وأما من زعم نسخًا أو غيره فقد غلط غلطًا فاحشًا، وكيف يُصَار إلى النسخ مع إمكان الجمع بين الأحاديث لو ثبت التاريخ وأنَّى له بذلك والله أعلم، فإن قيل: كيف يكون الشرب قائمًا مكروهًا وقد فعله النبي ﷺ؟ فالجواب: أن فعله ﷺ إذا كان بيانًا للجواز لا يكون مكروهًا بل البيان واجب عليه ﷺ، وأما قوله ﷺ: **(فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ)** فمحمولٌ على الاستحباب والندب، فيستحب لمن شرب قائمًا أن يَتَقَايَأَهُ لهذا الحديث الصحيح الصريح، فان الأمر اذا تعذَّر حمله على الوجوب حُمِل على الاستحباب[5].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق ١٦٠١/٣ رقم: ٢٠٢٦.
(٣) أخرجه البخاري كتاب الأشربة باب الشرب قائمًا ١١٠/٧ رقم: ٥٦١٥.
(٤) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب الحج باب ما جاء في زمزم ١٥٦/٢ رقم: ١٦٣٧، ومسلم كتاب الأشربة باب في الشرب من زمزم قائمًا ١٦٠١/٣ رقم: ٢٠٢٧.
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٩٥/١٣.

وقال ابن حجر: وسلك آخرون في الجمع حمل أحاديث النهي على كراهة التنزيه وأحاديث الجواز على بيانه، وهي طريقة الخطابي وابن بطال في آخرين، وهذا أحسن المسالك وأسلمها وأبعدها من الاعتراض(١).

الأكل والشرب قائمًا من منظور علمي

كشفت الأبحاث الطبية الحديثة عن بعض أضرار الأكل والشرب قائمًا:

يقول الدكتور عبد الرزاق الكيلاني: إن الشرب وتناول الطعام جالسًا أصح وأسلم وأهنأ وأمرأ؛ حيث تكون الأعضاء ساكنة، والمعدة مستريحة، فيسيل الماء من فمها على جدرانها بلطف وتؤدة، بينما إذا شرب واقفًا فإن الماء يتساقط من فمها إلى قعرها فيصدمه صدمًا، وإذا استمر الحال على ذلك مدة طويلة فقد تسترخي المعدة وتهبط، فيسوء هضمها للطعام(٢).

ويرى الدكتور إبراهيم الراوي: أن الإنسان في حالة الوقوف يكون متوترًا، ويكون جهاز التوازن في مراكزه العصبية في حالة فعالية شديدة حتى يتمكن من السيطرة على جميع عضلات الجسم لتقوم بعملية التوازن والوقوف منتصبًا، وهي عملية دقيقة ومعقدة يشترك فيها الجهاز العصبي والعضلي في آنٍ واحد، مما يجعل الإنسان غير قادر على تحصيل الطمأنينة العضوية التي تعتبر من أهم الشروط المرجوة عند الطعام والشراب، هذه الطمأنينة يحصل عليها الإنسان في حالة الجلوس حيث تكون الجملة العصبية والعضلية في حالةٍ من الهدوء والاسترخاء وحيث تنشط الأحاسيس وتزداد قابلية الجهاز الهضمي لتقبل الطعام والشراب وتمثله بشكل صحيح، ففي نهي النبي ﷺ عن الشرب والأكل واقفًا، وإجازته ذلك عند الحاجة سبقٌ علمي، فها هو العلم اليوم يطالعنا بالمشاكل الصحية التي تصاحب من يداوم على الأكل أو الشرب واقفًا، وأن هذه العادة من العادات الخاطئة والتي لا تتناسب مع القواعد الصحية، فمن أين علم النبي ﷺ هذا الأمر في ذلك العصر قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟ إن هذا لدليلٌ واضحٌ على صدق نبوة محمد ﷺ، وأن كل ما كان يخبر به إنما هو وحي من الخالق العليم(٣).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٨٤.

(٢) الحقائق الطبية في الإسلام، لعبد الرزاق الكيلاني صـ: ١٥٤.

(٣) راجع: الموسوعة العلمية الشاملة في الإعجاز النبوي لسمير عبد الحليم ٢/٢٢-٢٥، الإعجاز العلمي في الإسلام لمحمد عبد الصمد صـ: ٢٣-٢٤، التغذية والطب الوقائي لمحمد عيد الصاحب صـ: ٣٩.

الفصل الخامس: الإعجاز العلمي في السنة النبوية

اهتمَّ علماء الأمة الإسلامية منذ قرون بالإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ثم اهتمُّوا بعد ذلك بالإعجاز العلمي في السنة النبوية، وقد ساعد على هذا الاهتمام في العصر الحديث تقدُّم العلوم بصفة عامة، والعلوم الكونية بصفة خاصة، وجاءت الاكتشافات مطابقة للإشارات والحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأصبح للإعجاز العلمي في القرآن والسنة شأن عظيم في مجال الثقافة الإسلامية وفي مجال الدعوة، ونشط العلماء المسلمون وغير المسلمين في دراسته والبحث فيه، وكثرت المؤلفات والمؤتمرات والندوات المحلية والعالمية، وكذلك المحاضرات والأحاديث في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وتأسَّست اللجان والجمعيات والهيئات، التي تتسابق في عرض قضية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

وقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي كثيرًا في عصرنا، للدلالة على أوجه الإعجاز الواقعة في القرآن والسنة، والتي كشفت عنها العلوم الكونية.

والمعجزة في اصطلاح العلماء: أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، مقرون بالتحدي، سالم عن الْمُعَارَضَةِ(١).

ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم، الذي هو حقيقة، مقطوع بها، مطابقة للواقع، يمكن الاستدلال على صحتها، فإذا لم تكن مقطوعًا بها كانت وهمًا، أو شكًّا، أو ظنًّا، وإذا لم تطابق الواقع كانت جهلًا، وإذا افتقرت إلى الدليل كانت تقليدًا.

والإعجاز هو: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقةٍ أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول ﷺ، مما يُظْهِرُ، ويؤكِّد صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، والسنة النبوية –بما تتضمَّنه من حقائق علمية– دليل على صدق النبي ﷺ(٢).

والسنة النبوية المطهرة وحيٌ من الله تعالى، قال تعالى: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)**(٣)، وقد بيَّن النبي ﷺ أنه أوتي القرآن ومثله معه

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٤.
(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي ١٠/١.
(٣) سورة النجم الآيتان رقم: ٣-٤.

فقال: **(أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثْلَهُ مَعَهُ)**[1]، وكما كان للقرآن الكريم جوانب إعجاز علمي، كان للسّنة النّبويّة من حيث أنّها وحيّ من الله إعجاز علمي كذلك.

والإشارات العلمية الواردة في السنة النبوية تُعَدُّ من أبرز الدلائل على أن محمدًا رسول الله حقًّا، لأن سبقه العلمي من قبل ألف وأربعمائة سنة، وفي بيئة بدائية لا تملك مفاتيح العلم والمعرفة، بالإضافة إلى أميّته يقطع الطريق أمام القائلين بأن محمدًا رسول الله ﷺ قد تلقَّى هذا العلم من غيره، كما أنه يُثبت بما لا يدع مجالًا للشكِّ أن المصدر الوحيد الذي استقى منه محمد رسول الله ﷺ تعاليمه هو الله جلَّ في علاه.

وهناك ضوابط يجب مراعاتها عند الحديث عن الإعجاز العلمي في السنة من أهمها[2]:

١- اختيار الأحاديث المحتوية على إشارات إلى الكون ومكوناته وظواهره، والتثبُّت من معرفة درجة الحديث، واستبعاد كل الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وعدم الاعتماد عليها أو الاستشهاد بها في هذا الباب.

٢- جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد؛ وعدم الاكتفاء بحديثٍ واحدٍ منها، لأن الأحاديث يُفَسِّر بعضها بعضًا.

٣- فهم الأحاديث النبوية وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعد تلك اللغة وأساليب التعبير فيها؛ وذلك لأن النبي ﷺ عربيُّ اللسان، وقد تحدَّث إليهم بلسانهم قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[3]، علي ألا يخرج باللفظ من الحقيقة إلي المجاز إلا بقرينة كافية، وعند الضرورة القصوى؛ ومن هنا فلا يمكن إثبات الإعجاز العلمي بتأويل النص النبوي، بما لا تحتمله قواعد اللغة.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب في لزوم السنة ١٩٩/٤ رقم: ٤٦٠٤، وأحمد في مسنده ٢٩١/١٣ رقم: ١٧١٠٨، وإسناده صحيح.

(٢) راجع في هذا الموضوع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي ١٧/١، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه لعبد الله المصلح صـ: ٣٠، وضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على موقع الهيئة العالمية للكتاب والسنة.

(٣) سورة إبراهيم الآية رقم: ٤.

٤- فهم الحديث النبوي في ضوء سياقه وملابساته، وعدم التعسُّف أو التكلُّف في فهم دلالاته، أو تحميل ألفاظه ملا تحتمله اللغة.

٥- عدم تأويل الأحاديث النبوية لإثبات نظرية علمية تحتمل الشكَّ والصواب، ولكن يجب التعامل فقط مع الحقائق العلمية الثابتة، والحقيقة العلمية هي: المفهوم الذي تجاوز الافتراضات، والدراسات النظرية، حتى أصبح أمرًا ثابتًا قاطعًا متَّفقًا عليه بين العلماء المختصين كتمدُّد المعادن بالحرارة، وانكماشها بالبرودة... الخ

٦- عدم الخوض في النصوص المتعلِّقة بالغيبيات التي استأثر الله بعلمها، وليس في قدرتنا الإحاطة بها؛ لأن في مثل هذا الخوض تمحُّلًا وتكلُّفًا وتنطُّعًا؛ ويجب أن ينصبّ البحث دائمًا على القضايا الخاضعة للتجريب والمشاهدة والمقارنة.

٧- اليقين التام بصدق النبي ﷺ في كلِّ ما صحَّ عنه الإخبار به، واعتباره بمنزلة قول الله عز وجل؛ لأنه وحي من الله؛ فإذا وجدنا تعارُضًا ظاهريًا بين حديثٍ صحيح وبين حقيقةٍ كونية فإنه لابد أن يكون فهمنا للحديث فهمًا خاطئًا؛ لأنه لا يمكن أن يصادم مضمون نصٍّ صحيح حقيقة ثابتة أبدًا، لأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل يتحدَّث بوحي من الله خالق الكون، يقول ابن تيمية: ما جاءت به الرسل هو الحق، والأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وصريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه[1].

٨- ومن الخطأ الظاهر في هذا المجال: المبالغة في هذا التوجُّه، وتحميل الأحاديث ما لا تحتمل من أوجه المجاز المخالفة للسياق، أو المخالفة لما ثبت عن علماء السلف عند تفسيرهم لهذه الأحاديث، أو التسرُّع في عرض الفرضيات والنظريات على أنها حقائق علمية.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في الإعجاز العلمي في القرآن، ومثله يُقَال في السنة: الإعجاز العلمي في الحقيقة لا ننكره، لا ننكر أن في القرآن أشياء ظهر بيانها في الأزمنة المتأخِّرة، لكن غالى بعض الناس في الإعجاز العلمي، حتى رأينا من جعل القرآن كأنه كتاب رياضة، وهذا خطأ.

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢/٣٦٤.

فنقول: إن المغالاة في إثبات الإعجاز العلمي لا تنبغي؛ لأن هذه قد تكون مبنيَّة على نظريات، والنظريات تختلف، فإذا جعلنا القرآن دالاً على هذه النظرية ثم تبيَّن بعد أن هذه النظرية خطأ، معنى ذلك أن دلالة القرآن صارت خاطئة، وهذه مسألة خطيرة جدًّا.

ولذلك فأنا أخشى من انهماك الناس في الإعجاز العلمي، وأن يشتغلوا به عمَّا هو أهم(١).

خطوات إثبات شاهد من شواهد الإعجاز العلمي في حديث شريف خمسة وهي:

١- ثبوت النص الذي نستنبط منه الإعجاز العلمي المشار إليه، فيشترط أن يكون صحيحًا أو حسنًا على الأقل، ولا يجوز الاعتماد في هذا المجال على الأحاديث الواهية أو الساقطة(٢).

٢- إثبات وجود دلالة في النص على الحقيقة الكونية المراد إثبات وجود إعجاز علمي بصددها.

٣- ثبوت تلك الحقيقة الكونية علميًا بعد توافر الأدلة التي تحقق سلامة البرهنة عليها.

٤- ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية وقت تنزيل القرآن على نبينا محمد ﷺ والتي اكتشفت لاحقًا في الأزمنة المتأخرة.

٥- تحقُّق المطابقة بين دلالة النص من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسوله محمد ﷺ وبين تلك الحقيقة الكونية.

وهناك الكثير من الأحاديث النّبويّة الشّريفة الّتي تحتوي على كمٍّ من الحقائق العلميّة الّتي اكتشفها العلم الحديث مؤخرًا، رغم أنها قيلت منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزّمن، وسأذكر بعض الأمثلة الدالة على ذلك:

المثال الأول: عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا كما كانت

يمرُّ كوكب الأرض بدوراتٍ مناخية متقلِّبة، هذه الدورات تتم على مراحل زمنية متطاولة ومتدرجة قد تمتد إلى مئات بل آلاف السنين، وقد اكتشف علماء الجيولوجيا في العصر الحديث: أن الأرض قد مرَّت بعددٍ من دورات زحف الجليد على اليابسة، وتُعْرَف هذه الدورات باسم: الدورات الجليدية، حيث تتحوَّل

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢٨/٢٦.

(٢) قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه لعبد الله المصلح صـ: ٦.

كمية من مياه البحار إلى ثلوج، وتتجمَّع في أحد قطبي الأرض أو فيهما معًا، ثم تبدأ بالزحف في اتجاه خط الاستواء، وقد ينحسر الزحف في الدورة الواحدة عدة مرات، وفي أثناء هذا الزحف الجليدي على اليابسة تتحوَّل مناطق معيَّنة في خطوط الطول والعرض العليا إلى مناطق جليدية تنعدم فيها الحياة، بينما يتغيَّر الطقس في مناطق أخرى، فتتحوَّل إلى مناطق أمطار غزيرة، بسبب التغيُّر الحاصل في المناخ، ومن هذه المناطق: ما حدث في بلاد العرب، فقد ثبت بالدراسة أن جزيرة العرب قد مرَّت خلال الثلاثين ألف السنة الماضية بفتراتٍ ممطرة، كُسِيَت خلالها بالمروج الخضراء، وتدفَّقت فيها الأنهار بالمياه الجارية، وتحوَّلت المنخفضات فيها إلى بحيرات، حتى إن صحراء الربع الخالي التي تُعْتَبَرُ اليوم واحدة من أكثر مناطق الأرض جفافًا، ثبت أن بها أعدادًا من البحيرات الجافة والمجاري المائية المدفونة تحت رمالها، وأن تلك البحيرات والمجاري كانت زاخرة بالحياة ومتدفقة بالمياه إلى زمن قوم عاد، الذين أقاموا في جنوب الجزيرة العربية حضارةً لا تدانيها حضارة في زمنها، وقد حكى لنا القرآن شيئًا من أخبارهم، فيما ذكره تعالى من قول نبي الله هود عليه السلام وهو يدعو قومه عادًا الذين كانوا يسكنون في الجنوب من أرض العرب حيث قال لهم: **(وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)**[1].

ونحن اليوم نعيش في نهاية آخر دورة من دورات الانحسار الجليدي، ويبشر العلماء ببداية دورة جليدية جديدة، وقد بدأت بوادرها بالفعل، حيث تشير الدراسات المناخية إلى أننا قادمون على فترة ممطرة جديدة، شواهدها بدايات زحف الجليد في نصف الكرة الشمالي باتجاه الجنوب، وانخفاض في درجات حرارة فصل الشتاء، ولولا التزايد المطرد في معدلات التلوث البيئي التي تزيد من ظاهرة الاحتباس الحراري، لشاهدنا زحف الجليد على كلٍّ من أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا في زماننا الراهن، مما يؤكِّد عودة هذه الصحراء القاحلة مروجًا وأنهارًا مرةً أخرى.

هذه الحقائق لم يتوصَّل الإنسان إلى معرفتها إلا في العقود المتأخِّرة من القرن العشرين، وقد أشار إليها النبي ﷺ قبل ذلك بقرونٍ متطاولة، وأزمانٍ متباعدة، وذلك في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ**

(١) سورة الشعراء الآيات رقم: ١٣٢–١٣٤.

وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا[1] وَأَنْهَارًا)[2].

والعود في الأصل هو: رجوع الشيء إلى ما كان عليه سابقًا، وعلى هذا يكون المعنى: أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وأنها بعد فترة من الزمن ستعود مرةً ثانيةً فتجري فيها الأنهار، وتمتلئ بالمروج الخضراء التي تُغَطِّي أرضها.

فهذا الحديث الشريف قد احتوى على حقيقتين علميتين تتعلَّقان بأرض العرب إحداهما:

أن أرض العرب كانت أرضًا خصبة، وهي حقيقة أكَّدها القرآن الكريم كما ذكرنا.

والحقيقة الثانية في الحديث الشريف: أن أراضي العرب ستعود أراضٍ خصبة ذات مروج وأنهار كما كانت قبل ذلك.

وقد ذكر الشيخ محمد راتب النابلسي: أن عالمًا من أشهر علماء الجيولوجيا، ومتخصص في المنطقة الواقعة بين إفريقية، والجزيرة العربية، التقى بعالم مسلم، فسأله هذا العالم المسلم: هل عندك دليل على أن أرض العرب كانت بساتين وأنهارا؟ فقال: هذا معروفٌ عندنا، وهذا شيءٌ يعرفه العلماء المتخصِّصون، قال له: ما الدليل؟ قال: في الجزيرة العربية رواسب نهرية، تُلَاحَظ في أماكن عِدَّة، وقد عُثِر على قرية مدفونة تحت الرمال في الربع الخالي، وفيها مناطق متحجِّرة، وقد عُثِر على مناطق أخرى متحجرة، فلما فُحِصت إذا هي جذوعٌ لأشجارٍ كبيرة، وهذا كله يؤكِّد أن هذه البلاد كانت بساتين وأنهارًا، فمنطقة الربع الخالي، هذه الصحراء الجرداء القاحلة كانت مفعمة بالبساتين والأنهار، وهذا شيء ثابت عند علماء الجيولوجيا، الذين وجدوا من المستحدثات ما يؤكِّد ذلك، ثم سأله سؤالًا آخر فقال: هل عندك دليلٌ على أن بلاد العرب ستعود بساتين وأنهارًا؟ فقال: هذا شيءٌ أيضًا معروفٌ عندنا، فقال: وما الدليل؟ قال: إن كتل الجليد الضخمة تتجه نحو الجنوب، وهذا الذي سبَّب قبل أعوام شتاءً قارسًا جدًا في أوروبا وأمريكا، وإن اتجاه هذه الكتل الجليدية نحو الجنوب سوف يُغَيِّر مناخ الأرض، وبتغيير

---

(١) المروج جمع مرج، والمَرْجُ: هو الأرضُ الواسِعةُ، ذاتُ النباتِ الكَثِيرِ، تَمْرُجُ فِيهِ الدَّوابُّ، أَيْ تُخَلَّى تَسْرَحُ مُخْتلِطةً كَيْفَ شَاءَتْ. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣١٥/٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الزكاة باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ٧٠١/٢.

مناخ الأرض سوف تتغيَّر خطوط المطر، ولا بد أن يأتي يومٌ تعود بلاد العرب فيه كما كانت، مروجًا وأنهارًا، فقال هذا العالم المسلم لهذا العالم الجيولوجي: ما قولك في رجلٍ قال قبل ألف وأربعمئة عام: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)** فبُهِت هذا العالم الأجنبي، لأن هذه الحقائق عرفها في هذه السنوات العشر الأخيرة، فما بال هذا النبي ﷺ عرف هذه الحقيقة التي تحتاج إلى بحثٍ طويل، وإلى درسٍ طويل، وإلى رحلاتٍ شاقة في أعماق الصحراء، وإلى تنقيب، ودراسة لطبيعة المناخ في الأرض؟[1].

واللافت للنظر في هذا الحديث أيضًا: دقة الحديث في كلمة **(تعود)**، يعني أنها كانت، وبهذه الكلمة يعني أنها ستكون، وتعود؛ لقد كانت مروجًا وأنهارًا، وستعود مروجًا وأنهارًا كما كانت، فلو قال: حتى تصبح لدلَّ ذلك أن الماضي لم يدخل في هذا الحديث، ولو قال: كانت، فالمستقبل لم يدخل، أما كلمة **(تعود)** وحدها فهي التي أدخل فيها النبي ﷺ الماضي والمستقبل.

فمن أين له ﷺ الإتيان بهذه الحقائق الكونية التي لم يدركها العلماء إلا في العصر الحديث؟ إن لم يكن رسولًا، تلقَّى هذا العلم عن خالق هذا الكون، وخالق السموات والأرض، الذي أرسله وأيَّده بهذه المعجزات والبراهين لتقوم بها الحجة على العالمين في كل زمان ومكان.

المثال الثاني: تحريم الوشم:

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وأودع فيه غريزة حب التزيُّن والتجمُّل، وإذا كان الإسلام قد شرع التزيُّن والتجمُّل للرجال والنساء جميعًا، فإنه قد رخَّص للنساء فيهما أكثر مما رخَّص للرجال، فأباح لهن لبس الحرير، والتحلِّي بالذهب، وحرَّم ذلك على الرجال، قال ﷺ: **(حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ)** [2]، ومع ذلك فقد حرَّم الإسلام على الرجال والنساء جميعًا بعض أشكال الزينة كالوصل، والوشم، والنمص وغير ذلك، لما فيها من خروجٍ على الفطرة السليمة، وتغييرٍ لخلق الله تعالى والتدليس والإيهام وغير ذلك.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي ٨٣/٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه أبواب اللباس باب ما جاء في الحرير والذهب ٢١٧/٤ رقم: ١٧٢٠ من حديث: أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ وقال الترمذي: حَدِيثُ أَبِي مُوسَى حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وسنتحدث عن الحكمة التشريعية من تحريم الإسلام للوشم، وما هي الأضرار المترتبة على هذه العادة السيئة، والتي أثبتها العلم الحديث.

والوشم هو وضع علامة ثابتة في الجسم، وذلك بغرز الجلد بالإبرة ثم وضع الصبغ عن طريق هذه الفتحات والجروح ليبقى داخل الجلد ولا يزول، فيَزرَقّ أَثَرُه أَوْ يَخْضَرُّ(١).

قال النووي: الواشمة فاعلة الوشم، وهي: أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف، أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر(٢).

وقال ابن حجر: الوشم وَهُوَ شقّ الْجلد بإبرة وحشوه كحلا أَو غَيره فيخضر مَكَانَهُ(٣)، وقال: وقد يكون في اليد وغيرها من الجسد، وقد يُفْعَلُ ذلك نقشًا، وقد يُجْعَلُ دوائر، وقد يكتب اسم المحبوب(٤).

والوشم عادةٌ معروفةٌ من قديم الزمان، وقد جاء الإسلام بتحريمه، والأحاديث الواردة في تحريمه، ولعن فاعله كثيرة منها: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **(لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ)**(٥).

والواشمة هي: فاعلة الوشم، والمستوشمة هي: التي تطلب الوشم وتفعله(٦)، وقد استنبط العلماء من هذا اللعن: حرمة الوشم، وأنه من كبائر الذنوب(٧)، وأوجبوا إزالته إذا فُعِل.

وقد اختلف العلماء في المعنى الذي لأجله حرَّم الإسلام الوشم، فمنهم من ذهب إلى أن المعنى الذي من أجله حُرِّم الوشم هو: التدليس والخداع، ومنهم من قال:

---

(١) راجع: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٩/٥.
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٠٦/١٤.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢٠٥/١.
(٤) المرجع السابق ٣٧٢/١٠.
(٥) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب اللباس باب الموصولة ١٦٦/٧ رقم: ٥٩٤٢، ومسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة ١٦٧٧/٣ رقم: ٢١٢٤.
(٦) راجع: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٩/٥.
(٧) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ٢٣٤/١.

السبب في ذلك التحريم هو التغيير لخلق الله تعالى، ومنهم من قال: هو تعذيب بلا فائدة.

وقد جاءت الدراسات العلمية الحديثة بما يُظهر عظمة الإسلام ويكشف عن بعض الحِكَم التي حرمه الله من أجلها، فقد أكدت دراسة علمية حديثة، أجريت في جامعة (روتشيستر) في نيويورك، أن الشبان الموشومين هم أكثر عرضة إلى أنماط سلوكية خطرة، كالتدخين، وتعاطي المخدرات والكحول، والدخول في علاقات جنسية غير طبيعية، والانضمام إلى صفوف العصابات الخطيرة، والاشتباك في المعارك والغياب عن المدرسة...الخ.

وقال الطبيب (تيموثي روبرتس) المختص في طب المراهقين: إن الوشم نفسه لا يسبب السلوك المنحرف، ولكن الأشخاص الذين يشمون أنفسهم يجنحون إلى التورُّط في أنماط سلوك خطيرة، هذا إضافة إلى أن الوشم بحد ذاته كثيرًا ما يكون السبب في الإصابة بمرض فقدان المناعة (الإيدز)، أو التهاب الكبد أو الأمراض المعدية الأخرى، وذلك بسبب عدم مراعاة القواعد الصحية لمن يزاول هذه المهنة.

وقد أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة ضرر استعمال الوشم على الجسد، ليظهر من خلال هذا الاكتشاف وجه جديد من أوجه التوافق والتطابق بين النصوص الشرعية والعلوم الكونية، وكيف لا يكون هذا التطابق، وهذه النصوص هي وحي من عند الله تعالى الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وهو وحي أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ، فكانت هذه النصوص معجزة لهذا النبي الخاتم ﷺ، وتقوم بها الحجة على الناس، فيحيى من حيّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

وقد تنبَّهت كثير من الدول إلى ضرر الوشم فتم تحريمه، فقد أصدرت الحكومة اليابانية عام ١٨٧٠ مرسومًا يحرم الوشم، وتقدم مارتن مادون عام ١٩٦٩م بمشروع قانون بتحريم الوشم رسميًا في انجلترا، وحذَّرت اللجنة الأوروبية من أن هواة رسم الوشوم على أجسامهم يحقنون جلودهم بمواد كيمياوية سامة بسبب الجهل السائد بالمواد المستخدمة في صبغات الوشم.

المثال الثالث: السواك مطهرةٌ للفم:

اهتمَّت الشريعة الإسلامية بالطهارة في جميع نواحيها وحثَّت عليها، ومن ذلك تطهير الفم والأسنان، وفي هذا السياق جاء الإسلام ليعلِّم الناس طرقًا معقولة لتنظيف أفواههم، بالطرق المناسبة في عصرهم.

جاء الإسلام ليأمر أتباعه بمجموعةٍ من الوصايا تفوق كل ما توصَّل إليه الطب الحديث من أمورٍ للوقاية من نَخَر الأسنان، والمحافظة على صحة الفم ونظافته، فأنّى لأمراض الأسنان واللثة أن يصاب بها مسلم يلتزم بالسِّواك عند وضوئه وصلاته، وعند قيامه من النوم، وبعد طعامه، اتباعًا لقول النبي ﷺ في الحديث الذي ترويه عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **(السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ)**[1].

ويؤكِّد الباحثون أنه عند فحص قطاع عرضي من عود الأراك، الذي يُصنع منه السواك، فإنه يتكون من ثلاث طبقات متعاقبة:

أولها: طبقة خارجية: وهي عبارة عن نسيج فليني.

ثانيها: طبقة وسطى: وهي عبارة عن نسيج خشبي، وهما يشكلان الجزء الخارجي الذي يحمي الطبقة الثالثة.

ثالثها: طبقة داخلية: وهي عبارة عن ألياف سليلوزية رائعة البناء، وهي مرتبة وفق نظام دقيق، في حزم متراصة بجوار بعضها، أشبه ما يكون بفصوص ثمرة الليمون، تنطوي كل حزمة على عشرات الألياف الدقيقة، لتكوِّن معًا أكمل فرشاة طبيعية لدرء الخطر المحدق بالأسنان.

ومن فوائد السواك الطبية أيضًا: أنه يحتوي على مادة مضادة للجراثيم شبيهة بالبنسلين، وهي ذات تأثير شديد في القضاء على الجراثيم، وتقضي على خمسة أنواع على الأقل من الجراثيم الممرضة والموجودة بالفم.

وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل ليتهجّد يَشُوصُ[2] فاَهُ بالسِّواك[3]، قبل أن يكتشف العلم الحديث أن أهم أوقات السواك هو عند الاستيقاظ من النوم؛ لأن بعض النخرات تحدث في الفم خلال النوم، كما تترسب بعض المركبات من اللعاب محدثة القلح على الأسنان بسبب ركودة اللعاب أثناء النوم.

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة العديد من المناسبات التي كان يستخدم فيها النبي ﷺ السواك، وهي حالاتٌ مستمرة ودائمة طوال اليوم والليلة، فإن الأسنان تحتاج إلى تنظيفٍ مستمر.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم كتاب الصوم باب سواك الرطب واليابس للصائم ٣/٣١، وأحمد في مسنده ٤٠/٢٤١ رقم: ٢٤٢٠٣ وإسناده صحيح.

(٢) أَيْ: يَدْلُك أسْنَانَه ويُنَقِّيها. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ٢/١٥٩.

(٣) أخرجه الإمام البخاري كتاب الوضوء باب السواك ١/٥٨ رقم: ٢٤٥.

وقد أكَّد العلم الحديث أيضًا فاعلية سواك الأراك في القضاء على الجراثيم والبكتيريا التي تسبب التسوس وأمراض اللثة، ومن خلال المقارنة بين السواك وبين الفرشاة والمعجون يتضح لنا أن للسواك فوائد صحية للفم والأسنان تفوق ما استحدث من أدوات وأدوية تستعمل في نظافة الفم والأسنان.

وإضافة إلى ما سبق فقد كان النبي ﷺ يستخدم السواك على لسانه فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **(دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَطَرَفُ السِّوَاكِ عَلَى لِسَانِهِ)**[1]، وهذا يتطابق تماماً مع الإرشادات الطبية الحديثة، والتي تؤكِّد ضرورة تنظيف اللسان؛ حيث ثبت علميًّا أن اللسان أخصب مكان في الفم لنمو شتى أنواع البكتريا الضارة، ولا شكَّ أن هذه البكتيريا الضارة تندفع إلى داخل جسم الإنسان مع أي وجبةٍ قادمة، وقد تُسَبِّب هذه البكتريا بعض التقُّرحات للسان.

كل هذا وغيره من دلائل إعجاز السنة النبوية يشهد بأن ما جاء به رسول الله ﷺ من أفعال وأحكام وتوجيهات إنما هي تشريعات إلهية أوحاها إليه العليم الحكيم.

قال ابن القيم: وَفِي السِّوَاكِ عِدَّةُ مَنَافِعَ: يُطَيِّبُ الْفَمَ، وَيَشُدُّ اللِّثَةَ، وَيَقْطَعُ الْبَلْغَمَ، وَيَجْلُو الْبَصَرَ، وَيَذْهَبُ بِالْحَفَرِ، وَيُصِحُّ الْمَعِدَةَ، وَيُصَفِّي الصَّوْتَ، وَيُعِينُ عَلَى هَضْمِ الطَّعَامِ، وَيُسَهِّلُ مَجَارِيَ الْكَلَامِ، وَيُنَشِّطُ لِلْقِرَاءَةِ، وَالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَيَطْرُدُ النَّوْمَ، وَيُرْضِي الرَّبَّ، وَيُعْجِبُ الْمَلَائِكَةَ، وَيُكْثِرُ الْحَسَنَاتِ[2].

وهذه المعلومات لم تكن متوفِّرة في زمن الوحي ولا لقرون من بعده وقد وجَّه النبي ﷺ أمته باستخدام السواك عند كل صلاة فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ)**[3]، وهذا سبقٌ علمي واضح؛ لأن الفم هو مدخل الطعام إلى الجهاز الهضمي في جسم الإنسان، وحينما يمضغ الطعام فيه تبقى منه بقايا عالقة بين الأسنان واللثة، وهذه إذا لم تنظف تتعفَّن، وتملأ الفم بالفطريات

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الطهارة باب السواك ١/٢٢٠ رقم: ٢٥٤.
(٢) الطب النبوي لابن القيم صـ: ٢٤٣.
(٣) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة ٢/٤ رقم: ٨٨٧، ومسلم كتاب الطهارة باب السواك ١/٢٢٠ رقم: ٢٥٢.

والجراثيم التي قد تكون سببًا في كثيرٍ من الأمراض، بالإضافة إلى ما تنتجه من روائح كريهة ومنفرة من صاحبها.

فمن الذي علَّم هذا النبي ﷺ فوائد السواك، حتى أوصى أمته باستخدامه عند كل صلاة، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة، أي في زمنٍ لم يكن فيه إدراك لمخاطر تلوث الفم والأسنان ببقايا الطعام؟

لا يمكن لعاقل أن يتصوَّر مصدرًا له غير الله عزَّ وجلَّ، فإن ورود هذه الحقيقة العلمية على لسان نبي أمي في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين مما يشهد له بالنبوة والرسالة(١).

المثال الرابع: عَجْبُ الذَّنَبِ(٢)

جاء ذِكْرُ (عَجْبُ الذَّنَبِ) في عددٍ من الأحاديث النبوية الشريفة على أنه الأصل الذي يُخْلَق منه الجسد، والذي يبقى بعد وفاته وفناء جسده، ليبعث منه من جديد وقد أكَّد النبي ﷺ أن جسد الأنسان يبلى كله فيما عدا **(عَجْبُ الذَّنَبِ)** فإذا أراد الله تعالى بعث الناس أنزل مطرًا من السماء فينبت كل فرد من عجب ذنبه كما تنبت البقلة من بذرتها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ)** قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: (ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ)** (٤)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أيضًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ

(١) راجع في هذا الموضوع: موسوعة الإعجاز العلمي للنابلسي ١٨٥/٢، الإعجاز العلمي للسنة النبوية في أسرار مسواك عود الأراك وتأثيره على صحة الفم ومناعة الخلايا البشرية للدكتور: مشاري العتيبي على موقع: الهيئة العالمية للكتاب والسنة.

(٢) راجع في هذا الموضوع: الإعجاز العلمي في أحاديث في عجب الذنب لعادل الصعيدي على موقع جامعة الإيمان، الإعجاز العلمي في أحاديث عجب الذنب للدكتور: حسني حمدان الدسوقي حمامة على موقع الألوكة.

(٣) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب تفسير القرآن باب (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) ١٦٥/٦ رقم: ٤٩٣٥، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما بين النفختين ٢٢٧٠/٤ رقم: ٢٩٥٥.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما بين النفختين ٢٢٧١/٤ رقم: ٢٩٥٥.

ﷺ قَالَ: **(إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** قَالُوا أَيُّ عَظْمٍ هُوَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **(عَجْبُ الذَّنَبِ)** (١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ)** قِيلَ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **(مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْهُ يُنْشَأُونَ)**(٢).

وهذه الاحاديث النبوية الشريفة تحتوي على حقيقةٍ علمية لم تتوصَّل العلوم البشرية إلى معرفتها الا منذ سنواتٍ قليلة حين أثبت المتخصِّصون في علم الأجنة أن جسد الانسان ينشأ من شريط دقيق للغاية يسمى باسم: (الشريط الأول) الذي يتخلَّق بقدرة الخالق سبحانه و تعالى في اليوم الخامس عشر من تلقيح البويضة وانغراسها في جدار الرحم، وإثر ظهوره يتشكَّل الجنين بكل طبقاته وخاصةً الجهاز العصبي، وهذه بدايات تكوُّن العمود الفقري وباقي أعضاء الجسم لأن هذا الشريط الدقيق قد أعطاه الله تعالى القدرة على تحفيز الخلايا على الانقسام و التخصص والتمايز والتجمع في أنسجة متخصِّصة وأعضاء متكاملة في تعاونها على القيام بكافة وظائف الجسد.

أما عند غياب أو عدم تكون الشريط الأول فإن هذه الأعضاء لا تتكوَّن، وبالتالي لا يتحوَّل القرص الجنيني البدائي إلى مرحلة تكوُّن الأعضاء بما فيها الجهاز العصبي.

ولأهمية هذا الشريط الأول جعلته لجنة وارنك البريطانية –المختصة بالتلقيح الإنساني والأجنة–العلامة الفاصلة بين الوقت الذي يُسْمَحُ فيه للأطباء والباحثين بإجراء التجارب على الأجنة المبكرة الناتجة عن فائض التلقيح الصناعي في الأنابيب، فقد سمحت اللجنة بإجراء هذه التجارب قبل ظهور الشريط الأول، ومنعته منعًا باتًا بعد ظهوره، على اعتبار أن ظهور هذا الشريط يعقبه البدايات الأولى للجهاز العصبي.

وثبت أن هذا الشريط الأول يندثر فيما عدا جزء يسير منه يبقى في نهاية العمود الفقري (أو الفقرة المعروفة باسم العصعص) وهو المقصود بعجب الذنب في أحاديث رسول الله ﷺ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٦٥١/٤ رقم: ٨٨٠١ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي.

وما أن ينتهي الشريط الأول من تلك المهمة في الأسبوع الرابع، حتى يبدأ في الاندثار ويبقى منه جزءٌ يسيرٌ في نهاية العمود الفقري، وهو ما يُعْرَف بالعصعص، ولا يكاد يُرَى بالعين المجردة.

هذا الجزء من الإنسان هو عجب الذنب الذي ذكره النبي ﷺ في عددٍ من الأحاديث(١)، قبل ألف وأربعمائة سنة، وبين أن الإنسان يُرَكَّب منه أول مرة، وأنه هو الذي يبقى بعد وفاته وفناء جسده، ومنه يُعَاد خلقه مرة أخرى إذا أراد الله بعث العباد للحساب والجزاء، حيث ينزل الله عز وجل مطرًا من السماء فينبت كل فرد من عجْب ذنبه، كما تنبت النبتة من بذرتها.

وقد حاول مجموعة من علماء الصين من خلال عدد من التجارب المختبرية إفناء هذا الجزء (نهاية العصعص)، عن طريق إذابته في أقوى الأحماض، أو حرقه، أو سحقه، أو تعريضه للأشعة المختلفة، فلم يستطيعوا ذلك، مما يؤكِّد استحالة إفناء عجب الذنب (نهاية العصعص) وهذا يؤكِّد صدق حديث النبي ﷺ الذي يُعتبر معجزة علمية سابقة لكافة العلوم المكتسبة بألف وأربعمائة سنة على الأقل.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم مؤدَّاه: لماذا تعرَّض المصطفى ﷺ لقضيةٍ علميةٍ غيبيةٍ كهذه في زمن لم يكن لمخلوقٍ علم بها؟ ومن أين جاء النبي ﷺ بهذا العلم لو لم يكن موصولًا بالوحي ومُعَلَّمًا من قِبَل خالق الإنسان؟ وللإجابة على ذلك نقول: بأن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الانسان سوف يصل في يومٍ من الأيام إلى معرفة هذا الأمر، فألهم خاتم أنبيائه ورسله النطق بهذه الحقيقة لتبقى شهادةً على صدق نبوته، وصدق رسالته، وصدق تلقِّيه عن الخالق سبحانه وتعالى ما يبقى دائمًا لكل زمانٍ ولكل عصر، ولمَّا كان زماننا قد تميَّز بقدرٍ كبيرٍ من الكشوف العلمية، والتطورات التقنية التي لم تتوفَّر لزمنٍ من الأزمنة السابقة، فإن مثل هذه الإشارات العلمية في كل من كتاب الله و سنة رسوله ﷺ تبقى لغة العصر وخطابه وأسلوب الدعوة إلى دين الله الخاتم الذي لا يرتضي من عباده دينًا سواه، فلا يمكن لعاقل ان يتصوَّر مصدرًا لهذه الحقيقة العلمية من قبل ألف وأربعمائة سنة غير وحي صادق من الله الخالق.

---

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب تفسير القرآن بَابُ {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} ١٦٥/٦ رقم: ٤٩٣٥، ومسلم كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ ٢٢٧١/٤ رقم: ٢٩٥٥.

فهذه الأحاديث النبوية قد بيَّنت هذه الحقيقة العلمية التي لم يتوصَّل إليها العلم الحديث إلا في السنوات الأخيرة، وهو ما يؤكِّد صدق نبوة المصطفى ﷺ، وتلقِّيه ذلك عن الخالق سبحانه وتعالى، الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، أظهرها الله عز وجل في هذا العصر، إعجازًا وتحدِّيًا لكل جاحد ومكذِّب، وذلك مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**[1].

(١) سورة فصلت الآية رقم: ٥٣.

الفصل السادس: الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.

السنة النبوية حافلة بوجوه متعدِّدة من الإعجاز، ومن جوانب الإعجاز في السنة المطهرة:

النبوءات التي تضمَّنتها السنة النبوية، وهي تُشَكِّل إحدى نواحي الإعجاز النبوي البارزة، حيث أخبر النبي ﷺ ببعض المغيبات التي لا يعرفها أحدٌ من البشر، ولا يمكن للعقل البشري أن يدركها بنفسه، مما يعتبر من الإخبار بالغيب.

والغيب هو: كل ما خفي وغاب عن العيون[١]، وهو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الماضية، والحاضرة، والمستقبلة، وقد استأثر الله عز وجل بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك قال تعالى: **(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)**[٢].

فالعلم بالغيب تفصيلًا لا يعلمه إلا الله، أما العلم بشيءٍ من المغيَّبات الحاصل من تعليم الله فلا يقال لصاحبه أنه يعلم الغيب، قال تعالى: **(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ)**[٣]. فقد يُطْلِعُ الله أنبياءه على بعض الغيب لإثبات نبوتهم.

ومعنى الإعجاز الغيبي في السنة: أن يخبر النبي ﷺ في أحاديثه بأمورٍ سوف تقع بعد زمانه وحتى قيام الساعة، ولا يوجد لها مقدمات في عصره، وتتحقَّق بالشكل الذي أخبر به تمامًا[٤].

ويتحقَّق الإعجاز بأن يستحيل أن يخبر أحدٌ أيًّا كان علمه، ومعرفته بأمورٍ غيبية وتتحقَّق بالشكل الذي أخبر به، كما أخبر النبي ﷺ.

من ملامح وخصائص الإعجاز الغيبي في السنة النبوية المطهرة:

١- **قطعية الوقوع:** فإذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ فإن ما فيه من غيبٍ سيقع حتمًا كما أخبر، دون أدنى شكٍّ في ذلك.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٩٩.

(٢) سورة النمل الآية رقم: ٦٥.

(٣) سورة الجن الآيتان رقم: ٢٦-٢٧.

(٤) الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف للدكتور: شحادة العمري صـ: ١٩٢.

٢- **الدقة في الألفاظ والعبارات:** وهذه الدقة لها دور كبير في اكتشاف مواطن الإعجاز، وتوضيح الأحداث، وتشكيل الرؤية المستقبلية بناءً على ما أخبر به المعصوم ﷺ.

٣- **شمولية الأحداث:** بمعنى أن الأحداث الغيبية التي يخبر بها رسول الله ﷺ لعموم الزمان والمكان، فقد يخبر بشيٍ يحدث بعد وفاته بآلاف السنين، أو يحدث في أقصى الأرض، ويجمع بينها: أنها إخبارٌ بغيبٍ لم يقع، وليس لأحدٍ أن يخبر به، أو يعرفه إلا المعصوم ﷺ.

٤- **السلامة من الخلل والاضطراب:** فالسنة النبوية نوعٌ من أنواع الوحي قال تعالى: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)**[١]، فلا يمكن أن ينشأ تعارضٌ بين أمرين أخبر بهما النبي ﷺ في حديثين، وإن بدا تعارضٌ فهو ظاهري، يحتاج لإزالته إلى فهمٍ صحيح، وجمعٍ للأدلة لإزالة ذلك التعارض.

٥- يُعَدُّ الإعجاز الغيبي للرسول ﷺ في سنته من أكثر الأدلة على صدقه؛ لأن إخباره بالأحداث التي ستقع، أو وقعت بالفعل ولم يشاهدها رسول الله ﷺ فيه دلالة على أن الله هو الذي أوحي بها إليه مصداقًا لقوله تعالى: **(تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا)**[٢].

وجوه الإعجاز التي جاءت بها السنة النبوية المطهرة[٣]:

١- الغيب المتعلِّق بالماضي، كالإخبار عن قصص الأنبياء وأنبائهم مع قومهم، وما حدث لبعض الأفراد من الأمم السابقة من أحداثٍ غريبة، ومواقف عجيبة.

٢- الغيب المتعلِّق بالحاضر، كإخباره عن أسرار المنافقين ومكائدهم، وما يحدث لأصحابه وهم بعيدون عنه.

٣- الغيب المتعلِّق بالمستقبل، كالإخبار عن أمورٍ وأحداثٍ ستقع في المستقبل.

أمثلة للإعجاز الغيبي في السنة النبوية:

هناك الكثير من الأحاديث التي أخبر النبي ﷺ في طيَّاتها بأمورٍ ستحدث في المستقبل، وقد حدثت كما أخبر النبي ﷺ بها وهي داخلة في الإعجاز الغيبي للسنة، ومن أمثلة هذه الأحاديث:

---

(١) سورة النجم الآيتان رقم: ٣-٤.

(٢) سورة هود الآية رقم: ٤٩.

(٣) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة لشحاتة محمد صقر صـ: ٣٠٢.

أولًا الإعجاز الغيبي فيما يتعلَّق بالإخبار عن الأمور الماضية:

١- لم يكن النبي ﷺ يقرأ أو يكتب، ومع ذلك فقد أخبر عن الأمم الماضية إخبار من علمها ووقف على أحوالها، وقد صدَّقه في ذلك علماء أهل الكتاب قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهَا، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، فَكَانَ فِيمَا سَأَلُوهُ أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟ قَالَ: **(فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ مِنْ سَقَمِهِ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟)** فَقَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ(١).

٢- وقد أخبرنا النبي ﷺ عن الكثير مما حدث للأمم السابقة لنأخذ منه العبرة والعظة فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ)**، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا)**، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ**

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٢٧٧ رقم: ٢٤٧١.

وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ) (١).

٣- ومما أخبر به النبي ﷺ عن الأمم السابقة ما رواه أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: **(كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ)** (٢).

فهذه وغيرها من الأخبار التي وقعت في الأمم السابقة، وأخبر عنها النبي ﷺ تضيف بُعدًا جديدًا للدلائل الكثيرة على صدق نبوّته ﷺ، وأنه رسول رب العالمين، المؤيَّد بالوحي.

ثانيًا الإعجاز الغيبي فيما يتعلَّق بالإخبار عن الأمور الحاضرة والتي لم يشهدها النبي ﷺ:

١- إخبار النبي ﷺ عن موت النجاشي في الحبشة: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ **(نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى**

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب الإجارة باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل ٣/٩١ رقم: ٢٢٧٢، ومسلم كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ٤/٢٠٩٩ رقم: ٢٧٤٣.

(٢) أخرجه مسلم كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٤/٢١١٨ رقم: ٢٧٦٦.

المُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ)[1]، قال ابن حجر: وفي قصة النجاشي عَلَمٌ من أعلام النبوة؛ لأنه ﷺ أعلمهم بموته في اليوم الذي مات فيه مع بعد ما بين أرض الحبشة والمدينة[2]. وهذا يؤكِّدُ بما لا يدع مجالًا للشكِّ أن الله عزَّ وجلَّ هو الذي أخبره بوفاة النجاشي.

٢- ومن الإعجاز الغيبي للسنة النبوية ما ثبت عن النبي ﷺ أنه ذكر لأصحابه ما حدث في غزوة مؤتة، واستشهاد جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة ﷺ، وذلك قبل أن يصل إليه الخبر، فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: **(أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ)** وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: **(حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)** [3]، وذكر موسى بن عقبة في المغازي: أن يعلى بن أمية ﷺ قدم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله ﷺ: **(إِنْ شِئْتَ فَأَخْبِرْنِي، وَإِنْ شِئْتَ أُخْبِرُكَ)** قال: فأخبرني خبرهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركتَ من حديثهم حرفًا لم تذكره[4]، ففي هذا الحديث ما يدل بوضوح على أن النبي ﷺ يأتيه الوحي من السماء، ويخبره بما لم يشهده، وهذا علمٌ ظاهرٌ من أعلام نبوته ﷺ.

٣- من معجزات الرسول ﷺ الغيبية أيضًا: إخبار الرسول ﷺ بفتح بلاد فارس، وانتشار الأمن والأمان في ربوع الجزيرة العربية فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: **(يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟)** قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ **(فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ)**، -قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ[5] الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ[6]-؟، **(وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى)**، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: **(كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ،**

---

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب الجنائز باب التكبير على الجنازة أربعًا ٨٩/٢ رقم: ١٣٣٣، ومسلم كتاب الجنائز باب في التكبير على الجنازة ٦٥٦/٢ رقم: ٩٥١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٨٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب غزوة مؤتة من أرض الشام ١٤٣/٥ رقم: ٤٢٦٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥١٣/٧.

(٥) الدُّعَّارُ جَمْعُ دَاعِرٍ وَهُوَ بِمُهْمَلَتَيْنِ وَهُوَ: الشَّاطِرُ الْخَبِيثُ الْمُفْسِدُ وَالْمِرَاد: قطاع الطَّرِيق، وطيء قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْهَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ الْمَذْكُورُ وَبِلَادُهُمْ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَكَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ جَوَازٍ وَلِذَلِكَ تَعَجَّبَ عَدِيٌّ كَيْفَ تَمُرُّ الْمَرْأَةُ عَلَيْهِمْ وَهِيَ غَيْرُ خَائِفَةٍ. فتح الباري ٦١٣/٦.

(٦) سَعَّرُوا الْبِلَادَ أَي: أوقدوا نَار الْفِتْنَة. أَي: ملؤا الْأَرْضَ شَرًّا وَفَسَادًا فتح الباري ٦١٣/٦.

لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ ...) قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ: ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ[1] أي: من المال فلا يجد من يقبله. وقد حدث هذا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد كان عماله يطوفون على مَنْ يَقْبَل الصدقة فلا يقبلها أحد؛ فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس بعدله، يقول مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا أَصْبَحَ جَلَسَ فِي رَدِّ الْمَظَالِمِ، وَأَمَرَ بِالصَّدَقَاتِ أَنْ تُقَسَّمَ فِي أَهْلِهَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ لَهُ إِبِلٌ فِيهَا صَدَقَةٌ [2]، وقَالَ مُهَاجِرِ بْنِ يَزِيدَ: بَعَثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَسَّمْنَا الصَّدَقَةَ فِيهِمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِنَّا لَنُصَدِّقُ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ مَنْ كَانَ يُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ فِى العَامِ المَاضِى[3]، وأصرح من هذا ما ذكره: عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، قال: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفًا: ثلاثين شهرًا لا والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقولون: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكَّر من يضعه فيهم فلا يجده، فيرجع بماله، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس[4].

وكذلك بشر النبي ﷺ بفتح اليمن، والشام، والعراق، فَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(تُفْتَحُ اليَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الشَّأْمُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ العِرَاقُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[5].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٩٧/٤ رقم: ٣٥٩٥.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦٨/٥.
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧١/٦١.
(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٤٩٣/٦.
(٥) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب فضائل المدينة باب من رغب عن المدينة ٢١/٣ رقم: ١٨٧٥، ومسلم كتاب الحج باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ١٠٠٨/٢ رقم: ١٣٨٨.

وكذلك بشر النبي ﷺ أمته بفتح مصر فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**)(١).

وكذلك بشر النبي ﷺ أمته بفتح جزيرة العرب كاملة، وبلاد فارس، والروم، والانتصار على الدجَّال فَعَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: (**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ**)(٢).

ثالثًا الإعجاز الغيبي فيما يتعلَّق بالإخبار عن الأمور المستقبلية:

١- ومن دلائل الإعجاز الغيبي للسنة النبوية: بشارة النبي ﷺ أمته بفتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بِشْرٍ الْغَنَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، وَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ**) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَدَعَانِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَحَدَّثْتُهُ فَغَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ(٣)، قَالَ أَبُو قَبِيلٍ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَدِينَةُ هِرَقْلَ**

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب فضائل المدينة باب من رغب عن المدينة ٣/٢١ رقم: ١٨٧٥، ومسلم كتاب الحج باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ٢/١٠٠٨ رقم: ١٣٨٨.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ٤/٢٢٢٥ رقم: ٢٩٠٠.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/٤٦٨ رقم: ٨٣٠٠ وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٢١٩.

تُفْتَحُ أَوَّلًا) يَعْنِي القُسْطَنْطِينِيَّةَ[1]، وهذا الحديث الشريف إعجاز غيبي قلَّما يتوقَّعه أي متأمِّل لواقع المسلمين؛ سواءً وهم في مكة في حالة الاستضعاف، أم في المدينة في حالة الاستقرار المشوب بالحذر، فكيف سيفتح المسلمون القسطنطينية الحصينة؟! وهي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، التي ما انفكَّت تصارع أُمَّة الفرس، فكانت الحرب سجالًا بين الإمبراطوريتين العظميين، وكانت معظم الأرض مقسَّمة بينهما، فكيف سينتصر المسلمون على هذه الإمبراطورية الكبيرة؟! لكن إيمان المسلمين بصدق رسولهم ﷺ دفعهم إلى محاولات عديدة لنيل هذا الشرف؛ بداية من عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ الذي أرسل ابنه يزيد على رأس جيش مكوَّن من كثير من الصحابة وأبناء الصحابة، الذين أرادوا نيل شرف مدح رسول الله ﷺ للجيش الفاتح للقسطنطينية، ثم تعدَّدت المحاولات في القرون اللاحقة حتى فتحها محمد الفاتح الخليفة العثماني العظيم في عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) فكانت فتحًا عظيمًا، وشرفًا كبيرًا لمحمد الفاتح وجيشه من قِبَلِ رسول الله ﷺ، وترتّب على هذا الفتح المجيد سقوط الإمبراطورية البيزنطية، ولم تقم لها من يومها قائمة[2].

٢- أخبر النبي ﷺ أصحابه بظهور الخوارج، وذكر صفاتهم كأنهم موجودون بين يديه فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: **(وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ)** قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: **(دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ... آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْقَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ (، أَوْقَالَ: (مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ[3]، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ)** قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ، عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي

(١) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ١٩٧٠/٤ رقم: ٢٥٤٣.

(٢) راجع مقالة: إخباره ﷺ بفتوح أمته للبلدان للدكتور: منقذ السقار على موقع صيد الفوائد.

(٣) قال ابن الأثير: تَدَرْدَرُ أَيْ: تَرَجْرَجُ تَجِيء وَتَذْهَبُ. وَالْأَصْلُ تَتَدَرْدَرُ، فَحَذَفَ إِحْدَى التاءَين تَخْفِيفًا. النهاية في غريب الحديث والأثر ١١٢/٢.

نَعَتَ[1]، قال ابن حجر: وفي الحديث علمٌ من أعلام النبوة، حيث أخبر بما وقع قبل أن يقع[2].

٣- ومن دلائل نبوته ﷺ، ومن الإعجاز الغيبي للسنة المطهرة فيما يتعلَّق بالمستقبل ما رواه أَبُو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الحَسَنَ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: **(ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ)**[3]، وفي هذا الحديث إشارة إلى ما كان من أمر الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من أمر القتال، وأن الحسن تنازل عن حقه في الخلافة لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين، وقد تحقَّق ما أخبر بنه النبي ﷺ.

ولم يقتصر الأمر بالإخبار عن القليل من المغيَّبات المستقبلية، فقد صحَّ أن النبي ﷺ أخبر أصحابه عن الكثير من الأمور التي تحدث بعده وحتى قيام الساعة فَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: **(قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ)** [4]، وَعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليَمانِ ﷺ قَالَ: **(قَامَ فِينَا رَسُولُ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ)**، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[5].

قال ابن حجر: دلَّ ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتُدئت إلى أن تفنى إلى أن تبعث، فشمل ذلك الإخبار عن

---

(١) متفقٌ عليه أخرجه: البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٢٠٠/٤ رقم: ٣٦١٠، ومسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٤/٢ رقم: ١٠٦٤.

(٢) فتح الباري ٣٠١/١٢.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٢٠٤/٤ رقم: ٣٦٢٩.

(٤) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) ١٠٦/٤ رقم: ٣١٩٢.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٢٢١٧/٤ رقم: ٢٨٩١.

المبدإ، والمعاش، والمعاد، وفي تيسير إيراد ذلك كله في مجلسٍ واحد من خوارق العادة أمرٌ عظيم(١).

قَالَ عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ: **(صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ)** فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا(٢).

وما ذكرناه قليلٌ جدًا مما أخبر به النبي ﷺ من المغيبات، والإخبار بالمغيبات إحدى معجزاته ﷺ، التي خُصَّ بها، والتي كان لها من الفوائد العظيمة، والآثار الجليلة، ما جعل رسالة الإسلام مميزة على غيرها من الشرائع، محفوظة بحفظ الله لها، ومؤيَّدة بتأييده إياها، لا يعرفها أحد معرفة صحيحة ويتخلَّى عن الهوى والعصبية إلا سلّم القياد لها، وأذعن لحكمها، ولا ينصفها شخصٌ إلا دخل في ركابها، وسار على هديها، إنها الرسالة الخاتمة، الشاملة للعالمين.

(١) فتح الباري ٦/٢٩١.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٤/٢٢١٧ رقم: ٢٨٩٢.

الخاتمة، ونتائج البحث

١- المقصود بالإعجاز هو العلم الذي يثبته لنا العلم الحديث بعد قرونٍ من إخبار رسولنا الكريم ﷺ، في القرآن الكريم أو في سنته المطهرة، وفيه دلالة على صدق نبوة محمد ﷺ.

٢- هناك نماذج كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين قدرة الله عز وجل وعظيم صنعه في الكون، وما كانت هذه الآيات والحقائق العلمية لتكتشف لولا التقدم العلمي الهائل في مجال التكنولوجيا، مما يثبت بما لا يدع مجالًا للشك إعجاز القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

٣- أوجه الإعجاز في القرآن والسنة كثيرةٌ ولا يمكن حصرها، فمعين الإعجاز في الكتاب والسنة باقٍ لا ينضب، ودائمٌ يتجدَّد، ولا تزال هذه الوجوه تظهر وتنكشف، مع التقدُّم العلمي.

٤- الإعجاز البياني في السنة النبوية من مظاهر عظمة النبي ﷺ ودلائل نبوته، والأقوال النبوية الصحيحة تمثل ذِرْوة البيان البشري، والبلاغة الإنسانية مبنى ومعنى، مضمونًا وشكلًا، فكرةً وأسلوبًا، وقد خص الله عزَّ وجلَّ نبيه محمدًا ﷺ بجوامع الكلم، وهذا من معجزات النبوة، ومن دلائل صدق النبي ﷺ، والأمثلة الدالة على ذلك في السنة المطهرة أكثر من أن تحصى.

٥- الإعجاز التشريعي في السنة النبوية من أهم وجوه الإعجاز على الإطلاق، لأنه معجز للبشرية قاطبة على مرِّ العصور، وقد جاءت في الأحاديث النبوية مبادئ تشريعية وقواعد كلية جامعة في قوالب موجزة رائعة أبهرت وما زالت تبهر العقلاء.

٦- الإعجاز الطبي في السنة النبوية يعني: أن النبي ﷺ قد تحدَّث في أمورٍ طبيَّة لم يكن لأحدٍ من أهل عصره -حتى المتخصصون منهم- علمٌ بها، ثم جاء العلم الحديث فأثبت صحة هذه الأقوال، والأمثلة الدالة على وقوع الإعجاز الطبي في السنة النبوية كثيرةٌ جدًا.

٧- الإعجاز العلمي في السنة النبوية بضوابطه وشروطه المذكورة في البحث يُعَدُّ من أبرز الدلائل على أن محمدًا ﷺ رسول الله حقًّا، ويُثبت بما لا يدع مجالًا للشكِّ أن المصدر الوحيد الذي استقى منه محمد رسول الله ﷺ تعاليمه هو الله جلَّ في علاه.

٨- الإعجاز الغيبي في السنة النبوية يُشَكِّل أحد جوانب الإعجاز النبوي البارزة، حيث أخبر النبي ﷺ ببعض المغيبات التي لا يعرفها أحدٌ من البشر، ولا يمكن للعقل البشري أن يدركها بنفسه.

٩- موضوع الإعجاز في السنة من الموضوعات المتجددة والتي تحتاج إلى مزيدٍ من البحث، وخاصةً مع التقدم العلمي المتسارع في العصر الحديث.

وبعد فهذا جهدي القاصر لضعفي مع قلة بضاعتي، فإن وقع خطأٌ أو تقصير فمني ومن الشيطان، وإن وقع مني غير ذلك فهو فضلٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ ورحمة، والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: ١٣٩٤هـ.
٢) أحاديث الختان حجيتها وفقهها لسعد المرصفي، طبعة: مكتبة المنار الإسلامية الكويت، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ.
٣) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ضياء الدين المقدسي، تحقيق: عبد الملك دهيش، نشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.
٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ترتيب الأمير علي ابن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ.
٥) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت دمشق – لبنان.
٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، نشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ.
٧) الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم د: علي عبد الكريم النملة موقع الألوكة.
٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.
٩) الأشباه والنظائر للسيوطي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ.
١٠) الإصابة في صحة حديث الذبابة لخليل إبراهيم خاطر، طبعة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ.
١١) أصول الحديث علومه ومصطلحه لمحمد عجاج الخطيب، طبعة: دار الفكر بيروت لبنان ١٤٢٦هـ.
١٢) أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي لأيمن محمود السعيد، نشر: جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.
١٣) الإعجاز الطبي للسنة النبوية من خلال صحيح البخاري ومسلم للدكتور: أحمد العزب، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
١٤) الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي للدكتور: مساعد الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ.

١٥) الإعجاز العلمي في الإسلام: السنة النبوية لمحمد كامل عبد الصمد، نشر: الدر المصرية اللبنانية القاهرة، الطبعة: الخامسة ١٤٢١ هـ.
١٦) الإعجاز العلمي في السنة النبوية لزغلول النجار، نشر: دار نهضة مصر القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤٢٢ هـ.
١٧) الإعجاز العلمي في السنة النبوية لصالح رضا، نشر: مكتبة العبيكان الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ.
١٨) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، نشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الثامنة ١٤٢٥ هـ.
١٩) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) لأبي سليمان الخطابي، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، نشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى ١٤٠٩ هـ.
٢٠) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام لأحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، نشر: دار التراث العربي القاهرة.
٢١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ.
٢٢) البيان والتبيين للجاحظ، نشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
٢٣) البَلاغة النَّبويَّة وأثرها في النُّفوس للدكتور: حسن جاد، مجلة البحوث الإسلامية.
٢٤) تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.
٢٥) تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢ هـ.
٢٦) تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
٢٧) تأويلات أهل السنة المعروف بتفسير الماتريدي لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ.
٢٨) التحرير والتنوير أو: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية للنشر تونس، سنة النشر: ١٤٠٤ هـ.

٢٩) التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان لمحمد فهمي علي أبو الصفا، نشر: الجامعة الإسلامية، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الأخرة ١٣٩٧هـ مايو – يونية ١٩٧٧ م.
٣٠) التعريفات للجرجاني، نشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ.
٣١) التغذية والطب الوقائي: دراسة في الأحاديث الشريفة لمحمد عيد محمود الصاحب، بحث في ندوة الطب في السنة النبوية، نشر: جمعية الحديث وإحياء التراث عمان، ١٤٢٤ هـ.
٣٢) تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي المعروف بتفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ.
٣٣) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة لأبي عبد الله السعدي، نشر: دار طيبة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٤) تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
٣٥) الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
٣٦) جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ.
٣٧) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري للإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٨) الحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو، نشر: دار الفكر العربي، طبعة: القاهرة ١٣٧٨هـ.
٣٩) الحقائق الطبية في الإسلام، لعبد الرزاق الكيلاني، نشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ.
٤٠) الحكمة من الختان لمحمد أمين شيخو، طبعة: مكتبة البشير دمشق، الطبعة: الثالثة ١٤١٦ هـ.
٤١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٩هـ.

٤٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن لمحمد علي البار، نشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ١٤٠٣ هـ.
٤٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية ١٤١١ هـ.
٤٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، نشر: دار الفكر بيروت.
٤٥) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ.
٤٦) الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ.
٤٧) الرسل والرسالات لعمر بن سليمان الأشقر، نشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ.
٤٨) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله، نشر: دار العاصمة المملكة العربية السعودية، الأولى ١٤٢٢ هـ.
٤٩) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.
٥٠) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ.
٥١) الزهد والرقائق لابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر دار الكتب العلمية بيروت.
٥٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي، نشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى ١٤٠٧ هـ.
٥٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٥٤) سلسلة شرح الرسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب، شرح: صالح الفوزان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
٥٥) سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية.
٥٦) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

٥٧) سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة النشر: ١٤١٨ هـ.
٥٨) سنن الدارقطني لأبي الحسن الدارقطني، تحقيق: شعيب الارنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
٥٩) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها لمحمد متولي الشعراوي، جمع وإعداد وترتيب: عبد القادر أحمد عطا، طبعة: مكتبة التراث الإسلامي.
٦٠) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرح: محمد بن صالح العثيمين، نشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.
٦١) شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ.
٦٢) شريعة القرآن من دلائل إعجازه لمحمد أبي زهرة، نشر: دار العروبة القاهرة، سنة النشر: ١٣٨١هـ.
٦٣) شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ.
٦٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، نشر: الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ.
٦٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.
٦٦) صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٦٧) الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والمسائل الحديثة في العلم والإيمان للدكتور/ راشد شهوان، طبعة دار المأمون للنشر والتوزيع.
٦٨) الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم) لابن قيم الجوزية، نشر: دار الهلال بيروت.
٦٩) الطب الوقائي النبوي لمحمود الحاج قاسم، نشر: دار النفائس دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٢٢هـ.
٧٠) الطب الوقائي في الإسلام لعمر بن محمود بن عبد الله، نشر: دار الثقافة الدوحة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ.

٧١) الطب الوقائي في السنة النبوية لمحمد أسود، طبعة: دار طيبة، الطبعة: الأولى ١٤٣٧ هـ.
٧٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة بيروت.
٧٣) الطبقات الكبري لابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـ.
٧٤) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
٧٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، ومؤسسة علوم القرآن بيروت.
٧٦) غريب الحديث لابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، نشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ.
٧٧) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، نشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة: الأولى ١٤٨٣ هـ.
٧٨) غريب الحديث للخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، نشر: دار الفكر دمشق، ١٤٠٢ هـ.
٧٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، نشر: دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.
٨٠) فتح القدير للشوكاني، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ.
٨١) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) لأبي العباس القرافي، نشر: عالم الكتب.
٨٢) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت على هامش المستصفى للغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ.
٨٣) في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث لمحمود طلوزي، الطبعة: الثانية ١٤١٤ هـ.
٨٤) قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه لعبد الله المصلح، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة.

٨٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، نشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ.
٨٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.
٨٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: دار الوطن الرياض.
٨٨) لسان العرب لابن منظور، نشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ.
٨٩) لقاء الباب المفتوح لمحمد بن صالح العثيمين، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
٩٠) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، طبعة دار البشائر الإسلامية ببيروت، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الرابعة ١٤١٧ هـ.
٩١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ: حسين سليم أسد الدّاراني، نشر: دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ.
٩٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ.
٩٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، نشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة ١٤١٣ هـ.
٩٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.
٩٥) مختصر تفسير البغوي المُسمَّى بمعالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد، نشر: دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ.
٩٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) لأبي البركات النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ.

٩٧) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ.
٩٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ
٩٩) مسند الحميدي لأبي بكر الحميدي، تحقيق: حسن سليم أسد، نشر: دار السقا، دمشق سوريا، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ.
١٠٠) مسند الشهاب لأبي عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ.
١٠١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٠٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس الفيومي، نشر: المكتبة العلمية بيروت.
١٠٣) معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي، نشر: المطبعة العلمية بحلب الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ.
١٠٤) المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، نشر: دار الدعوة.
١٠٥) مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير للفخر الرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.
١٠٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.
١٠٧) من إعجاز السنة المشرفة لمحمد فؤاد شاكر، نشر: دار النبيل القاهرة.
١٠٨) المنهاج شرح صيح مسلم بن الحجاج للنووي، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢ هـ.
١٠٩) الموافقات للشاطبي، تحقيق: مشهور سلمان، نشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ.
١١٠) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي، نشر: دار المكتبي سورية دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ.

١١١) الموسوعة العلمية الشاملة في الإعجاز النبوي لسمير عبد الحليم، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ.
١١٢) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة جمع وترتيب: شحاتة محمد صقر، طبعة: دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي بدون تاريخ.
١١٣) موطأ مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، نشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية أبو ظبي الإمارات، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ.
١١٤) النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
١١٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ.
١١٦) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ.
١١٧) وغدًا عصر الإيمان للشيخ: عبد المجيد الزنداني، نشر: مكتبة القرآن.